

مَصِيرُ الْعَالَمِ
يُحَدِّدُهُ مَصِيرُ الْقَدْسِ

بِقَلَمِ

الدكتور
رياض بشاره مارودي

مكتبة المعارف
ببغداد

للمؤلف

- الأحلام تفسير الرؤيا

- مصير العالم يحدده مصير القدس

مفكرة

الكتاب يعالج مشاكل العالم الحاضر المستعصية من ناحية روحية تنظر إلى الأمور المعقدة من بعيد ، من فوق ..

مشكلات العالم الحاضر تنحصر في مواضيع رئيسية اجتماعية وسياسية واقتصادية وعنصرية ...

الاجتماعية تتناول ميوعة الجيل الطالع فيما يختص بالآداب العامة وفي أسباب تدهور الأخلاق وعوامل الإلحاد ...

مشددة على أن التقدم العلمي المدهش والتطور التقني المجيب لم يعمل على رفع مستوى التهذيب الروحي وتقوم الأخلاق بل عملا على عكس ذلك ...

في موضوع المشاكل السياسية يتركز البحث على أساس أن الحروب وعوامل العدوان مردّها أخطاء شخصية يرتكبها الحكام النافذون قد تكون عفوية وقد تكون مقصودة بنقض النظر عن (المبادئ) التي يؤمن بها الواحد منهم ...

أخيراً مشكلة المشاكل الأخيرة والكبرى البادية في دوران
وتأليب قوى العالم حول الأرض المقدسة ومنشأ الانسان
الأول . ظل الإنسان زمناً طويلاً متنكراً لمنشأه ومهبط
وجوده، رافضاً المكان وأتقياءه وكتبه المقدسة وروحانيته ،
متسبباً اجتهاداته الخاصة وفلسفاته ومبادئه المتناقضة ، لكن
العناية الإلهية تشاء في آخر الأيام أن تجرّه إلى مكان ظهوره
الأول من أجل تحطيم كبريائه بأبسط الوسائل على الأرض
المقدسة ... إن في تأليب قوى العالم حول مصير القدس
ظاهرة نبوية خطيرة سوف تقلب أوضاع العالم رأساً على
عقب .

بيروت في أول آذار ١٩٧٤

الدكتور رياض ب. بارودي

جيك طالع ام نازك ؟

في سن الشباب يميل الفكر البشري إلى التمسك بالمظاهر الخلابّة والأشكال الجميلة بغض النظر عن الباطن ، ويؤثر الحكم مبنياً على مرحلة مؤقتة طارئة دون التفات إلى حالة الاستقرار ، لأن العقل يكون قليل الخبرة لا يحمل ذكريات ولا يجب التحليل .

يجد نفسه محاطاً بقضايا اجتماعية ومبادئ سياسية ومذاهب دينية وشؤون حيوية متعددة - وأن من واجبه تجاه محيطه ورفاقه أن يكون لذاته عقيدة خاصة به نحو كل موضوع منها .

يجتمع غارق في بحر من وسائل اللهو والبطر والتسلية ، سيناً ورقص وسهر ومراهنات ومقامرة

ورياضة وتمثيل .. عادات اجتماعية يمارسها جميع الناس
تقريباً وهم لا يعلمون من خيرها أو شرها شيئاً، فكيف
يتَّجه وماذا يختار !!

مبادئ سياسية متعددة منها الملكية ، والجمهورية
والديموقراطية البرلمانية ، والفاشية ، والاشتراكية على
أنواعها، والشيوعية، والقومية العنصرية - تتعمق في الدرس
والتحليل من أجل تأمين الرفاهية لكل فرد ولكنها
تنتهي بنتائج وحلول متباينة . فإين الحقيقة ؟

معتقدات دينية مختلفة ومذاهب طائفية تتفق على
الجوهر وتتناحر على القشور، ويبلغ من خصوصياتها أحياناً
أنها تقسم المجتمع الواحد إلى فرق متباينة وتمزق
الوطن وتزرع الفتن والفوضى فأية فئة يناصر وأية فئة
على صواب ؟

يواجه الانسان متطلبات الحياة هذه وهو بعد فتي
قليل الخبرة ضعيف الإرادة لا يملك من عُدّة التبصّر
سوى ما يسمعه من محيطه وأقرانه وما يقرأه في كتب
الدراسة والمكتبات ، ويرى نفسه مضطراً إلى اتخاذ رأي

حازم في أكثر من موقف منها مرتبط بأحد مواضعها الحساسة .

لكن طموح الفتوة والشباب لا يخمد بسهولة . وقد يظل يكافح حتى يدفع بتفكيره إلى تجاوز ما تأمر به التقاليد والعادات ونبذ المعتقدات الموروثة . لا سيما إذا وجد لما يبغيه سندا في بعض النظريات العلمية المستحدثة المبنية على وجوه التقدم الآلي والتحسّن المستمر في أكثر مظاهر المعيشة . ويتحوّل من الواقعية إلى النظرية ومن الجوهر إلى المظهر في كل ما يتطلب منه تعيين الموقف وإبداء الرأي الحازم قبل إدراك النضوج العقلي وتحصيل الخبرة .

يتطلّع حوله فيرى كل شيء يتغيّر ويتحسن بسرعة فائقة متخذاً شكلاً جديداً من يوم إلى يوم فيتصوّر ان كل ما في العالم يسير هكذا، وان سنة البقاء تقضي بوجوب التحول والتغيير على الدوام . ويتطرق التصوّر في أكثر الحالات إلى افتراض ان التغيير ينبغي ان يشمل التقاليد الأدبية والأخلاقية والمعتقدات الدينية والروحية.. وهنا تكن طلائع الكارثة الكبرى - الثورة

على كل ما هو (قديم) وتحبذ كل ما هو (جديد) ...
مع العلم انه فيما خلا الأمور التقنية والأدوات قلما
نجد فارقاً دائماً الوجود بين القديم والجديد من العادات
فليس من جديد تحت الشمس . إنما طبيعة الانسان تميل
إلى نبذ ما تُكثر من استعماله ورؤيته وتتمنى التحوّل
والتنقل - فموضة اليوم كانت دارجة في الجيل الأسبق
وما طرحه الجيل الماضي من وسائل اللهو والمرح يعود
اليوم إلى تبوء مركز الصدارة .

القديم والجديد :

يتسابق الناس اليوم صغاراً وكباراً مثقفين وغير
مثقفين في مضار تربية شعر الرأس وإرخاء السالفين
واللحي في حين تنصرف النسوة إلى قصه وتقصيره ما
أمكن، وبات التعرّي واختصار الملابس الساترة أمراً
محبذاً - فهل نعتبر ذلك ظاهرة جديدة أوحى بها الرقي
والتقدم ؟

الاستعراضات الراقصة على أنغام موسيقى الجاز
الزنجية تكاد تخلب الالباب في المربع الليلية والستيريوهات

وأحدثُ الرقصات وأحبها إلى القلوب مستمدة من رقص
زنوج اميركا وأواسط أفريقيًا كما كانت تمارسه القبائل
التوحشة منذ مئات السنين، فكيف يعلل منطق المدينة
الغريبة مماشاة أبنائها لميوعة أبناء القبائل الأفريقية غير
المتطورة ؟

ليست الجيدة في المظاهر والتصرفات ووسائل العيش
والتسلية وشؤون الحياة الخارجية ، الجديد لا يكون في
الأدوات المادية والآلات والمخترعات والسيارات
والطائرات .. الجدة تكون في صلب الانسان نفسه -
في مراميه وأهدافه وميوله - في سمو الخلق ورفعة الفكر
وتزاهة التصور .

الجددة في الانسان ينبغي ان تتعدى الميول والشهوات
التي يشترك فيها مع الحيوان بصفته أعلى وأرفع شأنًا عنه .
إذا أخذنا بعين الاعتبار قول التطوريين إن الانسان
متطور من حالة أدنى وانه يتجه دائماً إلى ما هو أفضل
وأحسن وأرقى وأنفع - وجب علينا أن نراه يبتعد
شيئاً فشيئاً عن مماشاة الحيوانات لا أن ينصرف في آخر
الامر إلى تقليد حركاته والرجوع بشهواته إلى الوراء .

فلا قديم ولا جديد فيما يتعلق بنفسية الانسان - في ميوله وتفكيره وطموحه ووجهة نظره إلى جوهر الحياة . إننا نجد الأمور المحسوبة جديدةً وتقدمية - كالاختراعات العائدة إلى أسباب الراحة والرفاهية والاستمتاع وسرعة التنقل ووسائل اللهو والمرح وقتل الوقت - نجد هذه الأمور من العوامل الاساسية في تحطيم الاندفاع الروحي .

إنها تمنع نفس الانسان من أي تقدم نحو المحبة المجردة ونكرات الذات والتمسك بالحق والشعور مع الآخرين وتحثه على اتباع الجانب المعاكس .

نظرية التطور :

يقراً طلبه العلم العالي في بعض الجامعات تفاصيل مطولة عن نظرية علمية افتراضية يقال لها نظرية التطور . وترغم النظرية ان الانسان نشأ من أصل حيواني كانت تربطه بالقرود حلقة مفقودة، فهو إذا حيوان ناطق . والأدلة العلمية التي يتذرع بها مؤيدو النظرية تتركز بالدرجة الأولى على وجود خطوط تشابه واضح في شكل

وتركيب الجسم البشري منذ تكوّنه حتى ولادته فيما بينه وبين أنواع الحيوان . ويتمسكون بدلائل بارزة تربط أنواع طائفة واحدة من الحيوانات وكان أصلاً واحداً كان يجمعها في زمن بعيد، ويذهبون في تحليل أسباب الفروقات البسيطة بين أنواع الطائفة الواحدة مذاهب شتى ويبالغون في تحليل تأثيرات البيئة والمحيط على وجود الأنواع .

ينسب التطوريون الميزات الفارقة بين فصائل الجنس الواحد من جهة المظهر والغريزة إلى تأثير أحكام الطقس وتقلبات الطبيعة على مدة طويلة من الزمن في أعضاء الكائنات المذكورة ، وبينون العلالي على تغيرات طفيفة في طبائع بعض الحشرات والحيوانات بعد تعرضها للعيش في ظروف مفتعلة وإرغامها على ممارسة تمرينات معينة .

وهناك المتحجرات الحيوانية على أنواعها ، وصور الحيوانات البرمائية العملاقة المنطبعة على طبقات الأرض الصخرية التي تفتح الباب على مصراعيه للخيال . إذ ان التطوريين يتخذون من آثارها صور الحلقات المفقودة من مسلسل الكائنات المتطورة، وينسبون كل واحدة من

حلقاتها إلى احد عصور ما قبل التاريخ . وهم يروون ان عالما جيولوجيا اكتشف في احدى الجفريات في كينيا نصف جمجمة بشرية يقدر عمرها بأكثر من مليون ومئتي ألف سنة . ويوجد مئات من القطع العظمية المتحجرة في أمكنة متعددة من الأرض يعود تاريخ القسم الاكبر منها إلى مدد لا تنقص الواحدة منها عن مليون سنة على اعتقاد ان العلم يستطيع تعيين العمر .

في الردّ على النظرية :

في الرد على نظرية التطور بصورة مختصرة ينبغي القول أولاً : ان جميع الجهود التي بذلها علماء الحيوان لإيجاد انواع جديدة بواسطة التزاوج وتغيير البيئة والتحكّم بالظروف المواتية لكل جنس - ان جميع هذه المحاولات أصيبت بفشل ذريع .

ثم تبين ان مبادئ علم النبات وأوضاع الأشجار والأعشاب ووسائل محافظة كل نوع من أشكالها على ميزاته الدقيقة الخاصة - تنقض الافتراضات التي يلصقها التطوريون بأنواع الحيوانات والحشرات على خط مستقيم .

ويبدو واضحاً ان كل شجرة أو نبتة أو عشبة تحتفظ بصفات وراثية مميزة بصورة أزلية .

وفي علم النبات ان معظم الاشجار والنباتات والاعشاب - تعتمد أزهارها في إتمام عمليات التلقيح والإثمار على انواع من الحشرات - في حين ان نظرية التطور تزعم ان مملكة النبات كانت أول مظاهر الحياة على الارض وانها سبقت مملكة الحيوان بملايين السنين ...

أثبتت المكتشفات العلمية الحديثة في حقل الطب ان في أنسجة الجسم البشري قوة خفية تمنح الجسم الواحد ميزة الاستقلال الذاتي عن سائر الأجسام البشرية بحيث يستحيل وصلُ جزءٍ صغيرٍ من نسيجٍ منه بجسمٍ آخر .

لأن خلايا الأول لا تندمج ولا ترتبط بصلة ثابتة مع خلايا الجسم الثاني بعملية جراحية . لكن الأمر يبدو ممكناً في أجسام الطائفة الواحدة من الحيوانات ، إذ يمكن وصلُ قطعةٍ من نسيج حيوانٍ حي بجسم حيوانٍ آخر من نوعه . مما يثبت بطريقة علمية أن جسم الانسان ذو طبيعة منفصلة كلياً عن طبيعة الأجسام الحيوانية .

هذه الظاهرة كانت العامل الرئيسي على إبطال

مفعول عمليات (زرع القلوب) التي شغلت العالم وأوساطه الطبية في العصر الحالي . إذ تبين بعد الجهود الجبارة والتكاليف الباهظة والتضحيات أن الجسم يأبى الالتحام والتعاون مع قلب جسم آخر ليس من طبيعته . وكان الشيء نفسه حدث قبلاً لعمليات زرع خصيتي السعدان في الانسان بقصد تجديد الفتوة وإعادة الشباب إلى الشيخوخة . فكانت خيبة مخزية لآمال التطورين وتقديراتهم التي ملأت أعمدة الصحف العلمية الكبيرة وصفحات المجلات العلمية والطبية في جميع أرجاء العالم .

ما يتطور وما لا يتطور :

تتعرض مبادئ الحشمة والأخلاق السامية في الجيل الطالع لحالة من الفوضى لم تتعرض لثلها منذ آلاف السنين كما يتبين لمن يراجع صفحات التاريخ . فلقد صار من الصعب على الناشئين أن يميزوا بين ما يجوز وما لا يجوز شرعاً ، بين الحق والباطل ، بين الخير والشر .

كأنما شعور نفساني يدفع بهم إلى وجوب الثورة على كل ما يعترض الرغبات والشهوات ، إلى قلب الأوضاع

الاجتماعية القائمة ، إلى هدم الحواجز الأدبية وتحطيم القوانين ، إلى عدم التقيد بقانون .

المدارس والجامعات والمؤسسات العلمية لم تعد تعجب الطلبة، لأنها تتبّع مناهج عتيقة ترهقهم من جهة وتلجم حرياتهم من جهة أخرى - فصار من حقهم أن يشتركوا في وضع البرامج والمناظرة وفي تقرير المواد الدراسية وطرق الامتحان وأنواعه ، وأخيراً في تعيين المعلمين .

معظم كتب المطالعة والمؤلفات لا تسرّ الخاطر لأن مواضعها لا تسهب في بحث شؤون الحياة الجنسية والحب ومتطلبات الفتوة والشباب في كيفية تمضية أوقات الفراغ ..

الصحف والمجلات التي لا تزين صفحاتها البارزة صور النسوة العاريات والممثلات والراقصات وتخصص أعمدها للتحدث عن أخبارهن الخاصة والعامة - لا تلقى رواجاً ولا يشتريها أحد ..

أندية السينما والمراقص والمرايح الليلية والستريوهات تغصّ بالناس إلى ساعات متأخرة من الليل - وغرف

القراءة والمطالعات الأدبية والكنائس والمعابد ودور
الوعظ والتهديب وتقويم السلوك - تكاد تخلو من الحضور .
كيف نفسر هذا الجنوح الخلقى والتهور الأدبي من
جانب جيل بلغ العلم فيه درجة تكاد تدرك قمة المعرفة
والاختراع - أهو تطور أم تعثر ؟

تتركز نظرية التطور على اعتقاد ان الإنسان يسعى
دائماً إلى ما هو الأصلح والأنسب والأفضل لوجوده . لكن
العادات الاجتماعية المشار إليها ومثيلاتها العديدة تؤدي
بصورة أكيدة إلى ما هو الأسوأ والأشد ضرراً على
الإنسان من جميع الوجوه، الأمر الذي يفرض على المراقب
الاجتماعي إعادة النظر في ما يتطور وما لا يتطور من
مظاهر الحياة وحاجاتها بدلاً من ان يأخذ كل ما يبدو
جديداً بعين الاعتبار وينغمس في كل موجة طارئة إلى
ما فوق أذنيه .

الحق ومشتقاته - الشرع والقانون، العفة والاستقامة
والصدق والإخلاص والحشمة - هذه الأمور لا تتغير
ولا تتبدل ولا تتطور بمرور الأجيال وتقدم العلم
وظهور الاختراعات والمكتشفات المذهلة. الحق ومشتقاته

شيء روجي أزي ، والعادات والاختراعات والمكتشفات
وغيرها من الظواهر شؤون مادية تظلّ عرضة للتغير
والتبدّل .

حق الفرد نحو المجتمع أن لا يتسبب بسلوكه
تصرفاته في إضرار بالضرر بأحد من الناس.. ان لا يتعدى
ولا يتحرش ولا يمس الشعور ولا يغيظ الغير ، بل على
العكس أن يكون وفيّاً أميناً مخلصاً صادقاً رسول سلامٍ
ومحبة مجردة في جميع تصرفاته .

حق المجتمع نحو الفرد ان يحافظ على سلامته وملكه
وشؤونه الخاصة ويتجنب ما يسيء إليه بصورة من
الصور، وان لا يقاطعه لسبب من الأسباب ويجعله يشعر
بالعزلة .

صفات وتصرفات مبنية مباشرة على أسس الحياة
الجوهرية وشروط قيامها : لا تحسد . لا تشتهر مقتنى
غيرك . لا تظنّ السوء . لا تكذب . لا تسرق . لا تقتل .
أحبّ إخوتك ورفاقك كما تحب نفسك .
هذه الأسس الواجبة لقيام الحياة في جميع الأدوار

وعلى مدى الأجيال لا تتغير في شكل من الأشكال ولا يزداد عليها ولا ينقص منها - ولا تتطور ...

الذين حاولوا التطاول على شيء من نصوصها من مؤلفي الأنظمة المدنية ومخترعي النظريات التي يناقض بعضها البعض - هؤلاء لم يلبثوا حتى وجدوا أنفسهم على ضلال بعيد ، وتبين لهم بمرور الزمن أنهم تسببوا في إفساد أخلاق الناس بطريقة غير مباشرة، جروا الجيل إلى سيل من المصائب والبلايا الاجتماعية التي نشهد أثرها اليوم على وسائل التسلية والمرح واللذات والرقص والموضة والشذوذ والانحراف والتهور ...

بوجود الله ، ويصعب عليهم الإيمان بأن لوجود الإنسان
علة شريفة يمكن التعرف على أسبابها ومراميها بواسطة
الكتب المقدسة وآياتها الموصى بها .

الأمر المهم هنا من الوجهة الاجتماعية معرفة ما إذا
كان ممكناً للإنسان ان يمضي حياة مستقيمة وصالحة اذا
كان ملحدأ ...

الأمر يستوجب دراسة نفسية عميقة تتناول قرارة
الميول الذاتية والرغبات الخاصة التي تتقيد إلى حد كبير
بشهوآت الغرائز الطبيعية، لا سيما عندما يريد الإنسان ان
يحيا بمعزل عن الأفكار الروحية التي تظل تحاول ان
ترتفع به عن مستوى هذه الغرائز. لم يكن الإنسان مقيداً
بغرائز الحياة الدنيا اصلاً ، لكنه بعد سقوطه صار اكثر
تعرضاً لها وصار حراً في أن يساوي الحيوان أو
يترفع عنه .

بديهى أن ينزل الإنسان إلى مرتبة الحيوان في غريزته
أو تصرفاته تجاه رغباته النفسانية عندما يدخل في ذهنه
انه من أصل حيواني - بل ان يصبح اكثر شراهة من
الحيوان في مضمار شهواته ، ما دام يتفوق عليه في العقل

والفكر وحدة التصور . لذلك قيل : من لا يهاب الله
لا يخاف إنساناً ، كما قيل : ان الكافر لا يؤمن .

ماذا يمنع الإنسان الملحد من تحقيق مراده اذا صفا له
الجو وتحقق من عدم وجود ما يعترض شهواته!! لا بد من
أن يشتهي أو يغضب أو يحسد أو يعتدى عليه أو يُهان
ظلماً أو يساء الظن فيه - فهل يقدر على السكوت؟ وهل
يتقبل الصبر اذا كان لا يخاف الله ؟

يشهد التاريخ ان شيئاً من هذا لم يحدث ، وصفحاته
مليئة بالأدلة على روح النعمة والقتل والاعتداء والانتقام
التي كانت تسيّر اهواء الطغاة المستبدين الذين تحكوا
بالناس وهم غير مؤمنين بقوة رادعة .

التطور وعلم التاريخ :

لا خلاف في ان علم التاريخ يشكّل صخرة كبرى
تتحطّم عليها افتراضات التطور بصورة مدهشة . لأنه
علمٌ يتكوّن من مجموعة معلومات ثابتة مأخوذة من
مخطوطات قديمة وحفريات وآثار حجرية ومعنوية تتناول
أصل كل أمة من الأمم المتعاقبة وقصص ملوكها وآدابها

وحضارتها ، ومعتقداتها وكل ما كان يفخر به شعبها .
وهي معلومات باقية محفوظة بطرق سليمة منذ آلاف
السنين ، وقد تم العثور على مخطوطات في كهوف البحر
الميت وحفريات سومر وما بين النهرين يرجع تاريخها إلى
أبعد من أربعة آلاف سنة .

ان وقائع التاريخ - العنصرية ، السياسية والحضارية -
تنطبق في نحو تسعين بالمئة من مراحلها على ما ترويه
الكتب المقدسة في كل موضوع - من أن العالم المعروف
بدأ بمدينة سومر ما بين النهرين ، وبابل القديمة ، ومصر
الفراعنة وأشور والكلدانيين والفرس واليونان والرومان
وممالك رومية والقسطنطينية والعرب والأتراك .

من الوجهة العنصرية والحضارية يتبين كذلك ان
أصل الشعوب يرجع إلى مصدر واحد وجد ما بين النهرين
(برج بابل) - مصدر نبت منه ثلاثة فروع : سام
وحام ويافت - وان لغات العالم المعروفة ترتد في
جذورها إلى ثلاثة منابع أساسية : السامية والآرية
والحامية الافريقية .

قارئ التاريخ المجرّد لا يتجاسر على نكران صحة

الكتب المقدسة عندما يجد الوقائع التاريخية والسياسية والحضارية منطبقة على شهادة التاريخ العلمية الصريحة التي لا يمكن الشك في صحة مضمونها .

شهادة التاريخ برهان قاطع على صحة ما ترويه الكتب المقدسة من ان الله صنع الإنسان لمقصد سامٍ، وان قصده سوف يتم على أتم وجه في وقته المعين، وان كل ما يجري حولنا من يوم إلى يوم من حوادث ووقائع مؤلة ومفرحة ومضحكة ومفجعة - تسير في فلك المقصد الواحد السامي الذي يحول كل الأمور بالنتيجة إلى الخير العام لصالح الإنسان والحياة .

محاولات مسح التاريخ :

تهرباً من مواجهة أدلة ثابتة كهذه يبذل التطوريون الجهد ويؤلفون المجلدات الطويلة للتقليل من أهمية أزمنة التاريخ وآثاره الواضحة، ويتعلقون بعصور (ما قبل) التاريخ، حيث يتسع المجال للتخمين والتخييل ثم الافتراضات التي لا تتقيد بأزمنة معينة .

فاذا جئنا بدولة كبرى في مخترعاتها وحضارتها وقوتها

الحارقة وقسنا تقدمها المذهل على عمرها الذي لا يتجاوز
المتي سنة ، كالولايات المتحدة الاميركية مثلاً ، يغضون
النظر عن أهمية ذلك ويقللون من شأن الوقت . في حين
يتوسعون جداً في التعليق على حادث اكتشاف شبه
جمجمة متحجرة في كهف في المكسيك (يقدر) عمرها
بأكثر من مليون سنة .

إن التطوريين لا يتحدثون إلا بلغة الملايين ، وقلما
تقرأ عن جسم عظمي مكتشف ، ذي أهمية بالغة في
نظرهم ، يقل عمره عن مليون سنة – أما القول عن ان
عمر أوروبا وعظمتها وحضارتها ومكتشفاتها – الذي
لا يتجاوز الألف سنة – فليس ذا أهمية عندهم .

ما يعترض افتراضات التطور في هذا الشأن هو
(مصير) تلك الشعوب الوهمية – كيف انقرضت ولماذا ؟
شعوب عاشت عشرات الألوف من السنين واختفت دون
ان تترك آثاراً بارزة تدل على ما أحرزت من التقدم العلمي
المفروض فيه ان يتناسب مع ما أحرزه عالمنا القصير العمر
من المنجزات في نحو ألفي سنة !

ما هي العوامل التي منعت تلك الشعوب أن تتطور
وتخترع وتكتشف اشياء ملموسة يمكن الاستدلال منها
على درجة العبقرية العلمية التي بلغتها ؟
أم نكتفي بفكّ من جمجمة عشر عليه في كهف في
افريقيا (يقدر) عمره بـ ١٠ مليون ومئتي الف سنة !

بين القوة والحق

المادة والروح :

لكل أمة أو فرد مطالب ومشتبهات تتغير وتتلون وتتعاظم وتتضاءل بحسب الظروف والأوقات ، ويصبح الإنسان في هذا تجاه واحد من أمرين ، فإما ان يستعمل الوسائل المشروعة التي تعتمد جانب العدالة والحق وإما ان يلجأ إلى القوة وهي شرعة الغاب .

ويتضح لكل مراقب مجرد أن العالم ما برح في الغالب يعتمد القوة ويعتبرها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الغايات رغم ما بلغ من التقدم في العلوم والفنون .

لذلك كنا نرى الإنسان منذ أول فجر التاريخ، وما

نزال نراه : يكرّس كل مواهبه ونشاطه لأجل تحسين وسائل القوة ويحسب المتفوقين فيها أهلاً لكل تكريم .
في البدء اعتبر حَمَلَة الأثقال الكبيرة من الرجال في منزلة الآلهة ، متحدرين من أب جبار (إله) كان بإمكانه ان يحمل الكرة الأرضية على كتفه .

ثم جاء دور ضاربي السيف الأبطال الذين خلدهم علم الأقدمين في التماثيل الذهبية .

وجاء دور الرماة ورجال القسيّ الذين ما برحت قصص بطولاتهم تملأ الكتب المدرسية ومناهل الأدب في جميع اللغات .

ومن يتعمق في دراسة أدب اللغات الأجنبية يدرك كم كان (للفرسان) ، لدى الملوك والحكام في القرون الوسطى من قيمة ونفوذ .

باختراع البارود والمدفع زال مجد السيف وضاعت عبقرية الفرسان واتجهت القوة في مجرى آخر ما برحت تنتهجه حتى الآن - مجرى استعمال الآلة بدلاً من الجسم .
ودفع الحكام والسياسيون العلماء للتقدم ما استطاعوا في مضار الآليات المهدّمة ، ووضعوا تحت تصرفهم كل

الإمكانات المادية والفنية . فظهرت المدافع البعيدة المدى
والدبابات على أنواعها والأساطيل البحرية والطائرات .
وانصرف عباقرة العلم إلى تحسين وسائل القوة
الميكانيكية الحربية، وكانوا يتلقون من أجل مبتكراتهم
تمجيد الجماهير حتى قيل إن الشهرة التي حظي بها أول
عابر للمحيط الأطلسي في طيارة «لندبرغ» لم يحظَ
بمثلها رجل من قبل .

إن النصب والتماثيل الفخمة تملأ اليوم ساحات المدن
الأوروبية الكبيرة تخليداً لذكر هؤلاء (الأبطال) وتشجيعاً
لناشئين على الاقتداء بهم .

والواقع إن كل الاختراعات الآلية المدهشة التي يتمتع
بها الناس اليوم لم تبتكر في الأصل إلا لمقصد حربي، وكان
آخر مكتشفات الحرب العالمية الثانية تفجير ذرات
الأورانيوم لإنشاء القنابل الذرية وإطلاق الصواريخ
المبيدة .

وبينا يتحدث ممثلو الدول الكبرى عن أن الذرة
للسلام ، تتصرف الحكومات إلى تحسين وتطوير القنابل
الذرية وتخزينها لليوم العصيب . وقد صرح نائب عمالي

في مجلس العموم ان بريطانيا تملك الآن اربعمئة قنبلة هيدروجينية تكفي وحدها لاحراق الكرة الأرضية ، هذا مع العلم ان بريطانيا تعتبر دولة ثانوية في قوتها الذرية. كذلك يجري اتقان الصواريخ وتنظيم سيرها وضبط مداها إلى جانب مؤتمرات السلام وخطب الجملة المتبادلة بين الرؤساء والأقطاب .

وهيئة الأمم مكتوفة الأيدي تعجز عن ايجاد أي أساس للاتفاق على نزع السلاح كما كانت تعجز عصابة الامم قبلها .

وآخر الأمر أطل علينا العلماء بمحاولات الانطلاق نحو الفضاء لاكتشاف الأسرار المحيطة بالكرة ، ومن ثم (غزو) العوالم الأخرى ...

كل هذا جميل ومدهش من حيث اللفظ والمظهر - لكن ما هي الفائدة الحقيقية من تمكن أحدهم من زيارة القمر ومن الهبوط على سطح المريخ ؟ يقولون المجد والكرامة للعلم وللعلماء الذين تمكنوا بعبقريتهم الفذة من اختراق الفضاء واتقان هذه الأعمال الجبارة ...

أية مجاهل اكتشفت ؟

الكرة الأرضية توازي بزرّة تدور حول رأس بطيخ
هو الشمس ... والشمس حبة برغل من كيس زنته مئة
كيلو من البرغل هو المجرّة ... والمجرّة كيس من ألوف
الأكياس المدخّرة في مستودع ضخم هو الكون ...
ما فائدة العلم من رجل يدور حول الأرض في
كرة تكلف خزّانة الدولة مئة وخمسين مليون دولار ؟
تصفحوا التاريخ وتأملوا بالأبجد الغابرة التي هلّ
لها الأقدمون فإذا بها بين ليلة وضحاها من أسخف
السخافات ...

مادية الغرب اليهودية

تتصف شعوب القارة الأوروبية وأميركا بمدنيّة ماديّة بشكل لم يسبق له مثيل في أي زمان أو مكان من العالم ، الماديّة بوجهيها المعروفين - القوة والمال .

يروى التاريخ ان جماعات بني اسرائيل اخذت ترحل عن الشرق هرباً (أو نفيّاً) بفعل غزوات ملوك آشور وبابل منذ سنة ٧٠٠ ق . م وما بعدها - نحو الشمال ومن ثم نحو الغرب - تركيا والبلقان .

كانوا شعباً مثقفاً وذكياً جداً بالنسبة إلى قبائل اوربا البربرية في ذلك الوقت ، مزودين بحكمة الشرق وخبرة مئات السنين من مراحل مدنيته الرفيعة .

فانخرطوا وسط جاهير قبائل اوربا وتسلكوا إلى

ميادين الصناعة والتجارة والعمل البناء فكانوا المجلّين في جميع الميادين . وبمرور الزمن استقرت أكثر المراكز الحساسة والدوائر المالية في أيديهم ، وبسبب تمسكهم بعصبيتهم الخاصة وأصلهم الديني لم يندمجوا في عصبيات الشعوب الاخرى بل على العكس كانوا يتوخون تقاتل العنصريات الغريبة وتطاحنها لتزداد أرباحهم ويشدد ساعدهم .

اعتنقت أوروبا المسيحية القائمة على تعاليم روحية إنسانية تأمر بالتعبد ونكران الذات ومحبة الغير . لكن مادية الغرب اليهودية وأثر التقاليد الوثنية المتأصلة في شعبه لم تلبث حتى أفسدت مفهوم المسيحية* وأبطلت مفعولها . فانتسمت على بعضها طوائف متناحرة متقاتلة ذهبت بأرواح مئات الألوف من الناس وولدت تربة خصبة لنمو الأفكار الملحدة ونظريات فلاسفة التطور وذهب المصلحون من المفكرين إلى وجوب فصل الدين عن الدولة . إلى جانب هذه العوامل ساعدت مادية الغرب على تطاحن الدول الكبيرة سعياً وراء المال حتى اخذت الأزمات الاقتصادية تجر الويل والبؤس وضاق الناس

* عن المسيحية الشرقية والسليمة .

ذرعاً بسبل العيش . فكان لا بد من إيجاد حلول لتلك
الأوضاع فنشأت فكرة الاستعمار التي بدت حلاً جيداً .
انصرف المفكرون أيضاً يعنون في الدرس والتحليل ،
على أسس مادية أيضاً ، وطلعوا بنظرياتهم السياسية
والاقتصادية المعروفة بتناقض مبادئها وأهدافها - الشيوعية
من جهة والقومية العنصرية من الجهة الأخرى ،
الديموقراطية ، الجمهورية والملكية ، الاشتراكية الوطنية
والاشتراكية العالمية ، العلمانية والراдикаلية المتطرفة
والمعتدلة .. إلخ .

تألفت الأحزاب وتكتلت حول هذه المبادئ المادية
المتناقضة وسار التنافس الحزبي والعقائدي جنباً إلى جنب
مع التنافس المالي والسياسي . كان لليهود الأثر الأكبر في
كل ذلك، سواء من جهة تأليف المبادئ والأحزاب أم من
جهة تقويتها وتوجيه سياستها لتشكيل الحكومات ووضع
برامجها وغير ذلك .

ثم تبين أن الاستعمار ليس حلاً صحيحاً لانفراج أمة
على حساب أمة أخرى، وأنه لا يصلح لإزالة أسباب الأزمات

الاقتصادية ودفع عوامل الفقر والشقاء. وذلك لأن تأثيره مؤقت .

ظهرت مشكلة أخرى كانت مشكلة المشاكل - وهي التنافس على المستعمرات .

مبدأ القوة

لم يكن الاتكال على المادة ، والحرب لأجل المادة ،
والسعي وراء المادة والتحليل المادي- لم تكن هذه الأمور
مهيمنة على التفكير عندما كان زمام العالم بيد الشرق .
كانت الحروب والغزوات تقع من وقت لآخر ،
لأسباب روحية ، فكان لا بد من قيام استعدادات دائمة
وتحصينات وقائية حول المدن والجماعات ، لكن مرد
العدوان كان يفسر في الأكثر بغضبة الآلهة على أخطاء
الشعب ، والهزيمة تُعتبر نقمة من الله .

فالغازي كان يندفع بعامل روحي والمنهزم يقبل
الهزيمة كعقاب .

لم يكن يشترط أن يكون المنتصر مؤمناً والمغلوب

ملحداً وشريراً ، بل ان النصر يؤتیه الله للأصلح
والأنسب من الوجة الروحية .

فالعالم ترعاه مشیئة علیا وتوجه شؤونه طبقاً لرامي
أدبية روحية قلماً تدركها عیون الناس .

ذلك كان الرأي السائد والمقبول دائماً وأبداً في الشرق ،
وبموجهه كان يجري كل تفكير وكل نشاط وكل استعداد
سواء كان من جانب الملوك والحكام أم من جانب
الجمهير .

كثيراً ما كانت الحروب تنتهي على غير ما يتطلبه
الواقع العسكري .

يقع الذعر أو المرض أو التأمير في صفوف الجيش
الأكبر والاتم استعداداً - فينتصر الجيش الأصغر على
أهون سبيل ، وأدلة ذلك في التاريخ عديدة ومدهشة .

أما الآن فإن الاعتبار الروحية لا قيمة لها ولا
وزن ، ولا يحسب أي حساب لمشيئة تلك العناية العلیا
التي أوجدت الإنسان وما زالت ترعاه .

فالعصر عصر المادة في جميع صورها وأحكامها -

عصر القوة المنبثقة عن العلم ، التي تطلُّع كل يوم بنظرية جديدة وسلاح أقوى ..

ولما كان مبدأ القوة ينص في مضمونه على أن القوة لا يحدّها حدّ .. فإن العمل في ميدان اختراع ما هو (أقوى) لا يتوقف عند حد .. ولا بد أخيراً من اكتشاف تلك القوة التي يكون في مقدورها إتلاف العالم كله وإحراق الأرض :

تلك هي الحقيقة الثابتة والنتيجة الحتمية التي توصلت إليها العبقريّةُ البشريّةُ أخيراً بواسطة (العلم). وقد تنبأت عنها الكتب المقدسة منذ آلاف السنين .

العلم والسلام

لماذا لم يقدم العلماء خدمات تذكر لقضية السلام مع انهم قدموا الكثير من الخدمات للقضايا الأخرى ؟
كم قدّم العلم من التحسينات على وسائل النقل والحرائة والصناعة والطعام واللباس ووسائل التسلية والكيف ، فكيف لم يقدم شيئاً لأهم ما يهمّ النفس البشرية وهو أمنها وسلامتها ؟

ذلك لأن العالم لا يستطيع أن يبرع في ميدان علمي هام بوسائله الخاصة ، ولئن حدث وتمكن أحد من النبوغ في مادة علمية فإنه لا يلبث طويلاً حتى يجد نفسه مضطراً لمعونة مادية يقدمها الصناعيون والماليون والسياسيون والحكام مقابل مصالح مادية خاصة .

لا ينتظر من المالمين والسياسيين والصناعيين أن يقدموا مساعدة مادية لعالم يرمي إلى تكريس نبوغه لخدمة التهذيب الروحي والأخلاق ..

فالعالم العبقرى إذن ينبغي أن يضع نبوغه تحت تصرف الماديين في غالب الأحيان .

إما لتحسين معدات الصناعيين لزيادة الأرباح ..
وإما لاختراع وسائل جديدة للمالمين لتوظيف الأموال ..

وإما لخدمة الدولة في حقل السياسة والاستعداد للحرب .

راجعوا تاريخ الأدوات المعدنية والآليات فتجدون أن أول وأدق الأدوات المعدنية كانت السيوف والتروس ، ثم القسيّ والأسهم الفولاذية .

وأحسنُ العرباتِ والجِرائِرِ أنشئتُ في الأصلِ
لمقاصدِ عسكرية ، ثم تحولت بعدئذٍ للخدماتِ المدنية .
انصرف العلم قبل كل شيء إلى اكتشافِ مادةِ البارودِ
المتفجِّرِ ، وأخذ يتقن آلاتُ تفجيرِهِ حتى توصل إلى
البنادقِ السريعةِ الطلقاتِ والمدافعِ البعيدةِ المدى ..
وكان المقصدُ الأساسي من الطائراتِ هو ضربُ العدو
من الجو ..

من هنا توجه الاختصاصُ العلمي نحو اكتشافِ القنبلةِ
الجويةِ الأعظمِ قدرةً على التخريبِ - فكانت النتيجة
التوصل إلى تفجيرِ الذرةِ وصنعِ القنبلةِ الذريةِ المعروفةِ -
في ختامِ الحربِ العالميةِ الثانيةِ ..

السباقُ العلمي يجري الآن على قدمٍ وساقٍ بين
الكتلتينِ المتنافستين - الدولِ الغربيةِ والاتحادِ السوفياتي -
لإتقانِ صنعِ هذهِ القنابلِ وتخزينِ العددِ الأكبرِ منها ..
في حين أن الحديثَ عن السلامِ ومؤتمراتِ السلامِ
يصمُّ الآذانَ ، والقولُ أن الذرةَ للسلامِ ، والعلمُ للسلامِ !
يملأُ الأسماعَ ..

لكن العلمُ لم يكن في وقتٍ مضى إلا للحربِ ..

والذرة لم تكن إلا للحرب .. هذا هو الواقع المؤسف !
لقد كان في وسع العلم والعلماء أن يقدموا للعالم
الكثير من الخدمات في خلق وسائل جديدة ومواد
جديدة للكساء والغذاء والخير والسعادة للبشر ، لو أنهم
عملوا على أسس أدبية روحية أخلاقية منبثقة من أنفس
مؤمنة بالآخرة .

الأدباء والسلام

هل يستطيع الأدباء (المؤلفون والكتاب) العمل
بتجرد على تهذيب الأنفس وبالتالي تأدية خدمة فعالة
لقضية الأمن والسلام ؟

لا يكاد الكاتب يشق طريقه الشائكة حتى يجد نفسه
تجاه أحد أمرين : إما أن يساير ذوق جمهور القراء
ويماشي رغباته، أو أن يضع نفسه تحت تصرف السلطات
القائمة من مالية وسياسية ، ويخدم مصالحها المتعددة ..
أو أن يستبد بأرائه ويتمسك بمعتقده فيموت في
مهدده .

صحيح أن لسلاسة التعبير وحسن الأسلوب قيمة
تذكر في نظر القارئ، لكن الموضوع هو الذي يتحكم في
النهاية .

نرى أكثر الأدباء يميل إلى مماشاة ذوق الرأي العام
او رأي الأكثرية من الناس لأجل رواج الكتب والمؤلفات
المنشورة ، لأن أهم ما يهم المؤلف هو أن يرى كتبه تباع
وتنتشر بسرعة في أوساط الشعب ، أما التأثير الأدبي
والخُلقي الذي قد يترتب عليها فقلما يحسب له أي حساب .
ولما كانت الأكثرية الساحقة من عامة الشعب تميل في
الغالب إلى الميوعة والطيش والبطر والمذات ، كما يشهد
بذلك الواقع وكما يتبين من شهادة الكتب المقدسة وسجلات
التاريخ ، صار على الأدباء - كما يحظوا بتأييد الرأي العام
وإقباله - أن ينصرفوا بكل عبقريتهم إلى تأليف القصص
الغرامية والروايات البوليسية والتمثيلية القائمة على
المكائد والمؤامرات وسفك الدماء في سبيل الشهوات
الحيوانية .

مؤلفات كبار الكتاب لا سيما في الغرب موجودة في
المكاتب تحت نظر كل مراقب وبعضها ما زال يستعمل
في الكليات والجامعات للتخصص فيما يسمى بـ (آداب
اللغة) - فما على القارئ إلا أن يلقي نظرة على مواضيعها
ليتأكد من صحة هذا القول .

تصور أن كاتباً أخذ على عاتقه في هذا الجيل مقاومة
موضة الرقص النصف العاري والزواج المدني وأخذ يبين
للناس في أسلوبه السليبي أن معظم عاداتهم الاجتماعية
تخالف التعاليم الدينية وأصول الأخلاق، كانشغالهم بالتغني
بملكات الجمال ونجوم السينما وكواكب الأفلام .. ماذا
يكون مصيره ؟

أية مجلة أو صحيفة - سواء أكانت سياسية أم
اجتماعية أم علمية - تحظى بإقبال الرأي العام على مطالعتها
إذا لم تتوج صفحاتها الظاهرة بالصور الخليعة وأقاصيص
رجال الفن ، وتترين بأخبار الممثلات (النجوم
والكواكب) ؟

الموهوبون والسلام

في كل جيل فئة من الناس موهوبة تتمتع بقوى
عقلية خارقة وبذكاء فارتط، يؤهلها لتبوء مركز القيادة
في كل وجه من وجوه النشاط البشري ساعة تشاء ..
فالحق والواقع يتطلبان من هذه الفئة الموهوبة من
الناس ، أن توجه عجلات المجتمع نحو الاستقامة وتقويم

الأخلاق ، ونبتذ عوامل الفساد ، وأن تقود الناس إلى أسباب المحبة والعدالة والزهّد . لكن الأمر لا يلبث حتى ينقلب إلى العكس ...

إن الموهوبين من الناس يلمسون سريعاً بحكم ذكائهم أنه لن يكون في وسعهم تقويم الاعوجاج ومقاومة التيار، فمن من الأنبياء ورجال الله والقديسين والمصلحين حاول ذلك ولم يلقَ الاضطهاد والخزي والموت ؟ فيتحولون نحو أنفسهم قائلين : إذن لننصرف إلى استغلال طيش الجماهير الشعبية وإلى الاستفادة من جهلها ما دمنا في عالم لا يقدر غير المال والشهرة والنفوذ ..

ولئن كان عند القليل من هؤلاء شيء من سمو الأخلاق ومن نكران الذات وحب الحق فإن العلم الذي يتلقونه في الجامعات ، وأكثرها علمانية ملحدة ، كفيلاً بالقضاء عليه واستبداله بسفسطات الفلسفة المادية ..

على هذا الأساس تؤسس الأحزاب وتؤلف الكتب وتنشر الصحف والمجلات وتشيّد المباني والقصور وتبني المقاهي ودور السينما الفخمة ..

تنشأ كلها من أجل الشعب ولخدمة الشعب وباسم

الشعب.. والهدفُ الحقيقي لا يتعدى دائرة المصالح الذاتية
وجرّ المغام ..

من يدرس الطب لأجل أن يتمكن من مداواة المرضى
وتخفيف آلامهم في سبيل الانسانية ؟
من يصدر جريدة أو مجلة لمجرد نشر الأخبار
الصحيحة وإطلاع الناس على الحق ؟
من يسعى وراء الوظيفة كما يتمكن من خدمة
الشعب وإنصافه ؟

من يدرس المحاماة لتتاح له الفرصة لكشف الحقيقة
المجردة ؟

لقد تبين أن معظم القائمين على أعمال الخير ومشاريع
البر والاحسان وأعضاء مجالس الأمناء - إنما يقومون
بذلك سعياً وراء المجد العالمي - الشهرة والمال والتفوذ..
كيف يستقيم المجتمع ما دام رؤساؤه وحكامؤه آخذين
في استغلال طيشه والاستفادة من جهله ؟

يقولون سلام ولا سلام

الفقر عدو السلام

لم يكن على الأرض أحب للناس من موضوع السلام منذ فجر التاريخ إلى الآن .. كان أمل الشعوب وهدف الحكام وغاية المصلحين . كان محور كل فكرة ومرمى كل نظرية وروح كل رسالة . غير انه بقي حلاماً ولم يتحقق منه شيء بالنسبة إلى غيره رغم ما بذل في سبيله من جهود. وعلى الرغم من مئات المكتشفات العلمية التي حققت أكثر أحلام البشر في شتى الميادين : ظل خطر العدوان يعكر صفو الحياة كما كان يفعل دائماً . تخلّص الناس من أكثر الآلام الاجتماعية والصحية بفضل التقدم العلمي .. وتحقق لهم من أسباب الراحة والتنعم بالملذات ما لم يكن

يخطر لهم على بال ، وتحرروا من كثير من الأخطار :
ما عدا خطر الخوف من الحرب .

قضية السلام تبتدىء بنقاط صغيرة جداً في كيان
الأمة تشبه الخلايا التي يتكون منها جسم الانسان، بعكس
ما يعتقد الساسة المحترفون . هذه الخلايا هي الأفراد
وعائلاتهم التي تكوّن الأمة . فحق ساد السلام عائلات
المجتمع بنسبة عالية ، قلت أسباب التذمر والشكوى
والعدوان والاضراب . ومتى دبّ الخلل في كيان
العائلات وفقدت السلام ، تقوم أسباب الثورات
والانقلابات المؤدية إلى الحروب .

فالقضية في مجموعها تتوقف على مقدار الطمأنينة
الكامنة في خلايا المجتمع وتبلور في نسبتها إلى المجموع .
أما المبادئ السياسية والمناهج الادارية التي يلوح بها
الحكام فإنها ثانوية .

متى توفرت أسباب المعيشة وتأمنت السعادة البيئية
عند الأكثرية الساحقة من أفراد الأمة ، يصير من الصعب
بل من المستحيل قيام ما يعكس صفو السلامة العامة .

وسلام العائلة يتوقف على مدى تمكن رب البيت من تأمين حاجاتها الضرورية وتوفير رخائها وحمايتها من اعتداءات الغير. أما الشق الأول فيقوم على نشاطه الخاص وحسن أخلاقه ، وأما الشق الثاني فيتعلق بنشاط جيرانه وأقرانه ومقدار نجاحهم في تأمين ما يحتاجون إليه .

العالم مجموعة أوطان أو قوميات ، وكل وطن او قومية مجموعة كبيرة من الأفراد، ولكل فرد عائلة ذات حاجات ضرورية تمتد ضمن دائرة محدودة تمثل مجالها الحيوي للحياة ، فأمن الفرد في عائلته يشترط تأمين حاجاتها الضرورية ومجالها الحيوي. ومتى تحقق ذلك لكل أفراد الأمة تحقق الأمن الجماعي فيها معنوياً وقلت أسباب الشكوى . وكلما تعذر تأمين هذه الحاجات وضقت دوائر المجال الحيوي وشحت المداخل واصيبت العائلات بكثير من الحرمان - أصبحت المجموعة عرضة للثورة والتمرد عند أول بادرة . على هذا الأساس يسقط الحكم وينهض غيرهم وتقع الانقلابات وتنتشر المبادئ العديدة . من أجل تخفيف وطأة الأزمات ومواجهة

غضبة الجماهير تتبع وسائل القمع والضغط في الداخل وتنبثق عوامل الاحتكاك بالخارج والاعتداء على الجيران. العامل الاقتصادي محور تدور حوله جميع أسباب سلامة الفرد والعائلة والوطن والعالم ، والفقر والحرمان والخوف هي العناصر الثلاثة التي تولد الأزمات الاقتصادية والسياسية وتنبثق الفوضى . والقلق والاضطراب والاضراب - فيما نراها - ترتد إلى عوامل نفسية وروحية تقرضها بعض العادات الطارئة ووجهات النظر الأخلاقية وقيم التهذيب الروحي . درج أكثر الحكام والمصلحون على معالجة الأزمات بالمذاهب الاقتصادية والسياسية المتعددة القائمة على نظريات مادية حسائية غير روحية كمن يعالج المريض بالمخدرات حتى يموت . ان الفصول التالية تبين كيف فشل حكام العالم حتى الآن في حل المشكلة بوسائلهم الخاصة واجتهاداتهم العلمية .

الديموقراطية والسلام

الديموقراطية تعني النظام البرلماني الذي انتجته الثورات الشعبية في الغرب منذ أوائل القرن التاسع عشر . هذا النظام يحاول حصر جميع السلطات بيد ممثلين ينتخبهم الشعب بكامل حرّيته ويهدف إلى جعل الأمة مصدر قوة حكمها، باعتبار أن هؤلاء لا يستطيعون سن قوانين تلائم الصالح العام دون موافقة البرلمان ممثل الشعب . الفكرة من أساسها ترمي إلى جعل أفضل عناصر الأمة تتبوأ كراسي النيابة عنها ووضع الأمور العامة في أيدي أفراد الشعب . غير أنه كان يتبين بعد تجارب عديدة - أن النظام المذكور لا يكفل إيصال أفضل عناصر الأمة إلى مقام النيابة، وأن العناصر الشريفة

والمخلصة قلباً تتمكن من بلوغها - لأنها لا تنشأ متمسكة
بالمال حريصة على تكديسه . وتبين أن للمال القوة
المباشرة في ميادين الانتخاب وأن غير الماليين
لا يستطيعون مجارة الماليين في الوسائل التي يتطلبها
النظام البرلماني .

النظام البرلماني الديموقراطي يظل عاجزاً عن أداء
مهمته على الوجه الأكمل في رفع أفضل عناصر الأمة إلى
مقام النيابة لسببين رئيسيين :

أولاً سيطرة المال ومقداره على الفئات البسيطة
والتوسطة من المقترعين (إذ أنه يستطيع تكييف
المجاري اللازمة التي تجعل من غير الصالح صالحاً ومن
غير المناسب مناسباً) . ان المنافذ التي يتمكن الواحد
من أفراد الشعب اعتمادها لتكوين ثقته بأحد المرشحين
تظل خاضعة لمن يملك القسم الأكبر من المال عن طريق
الدعاية . بموجب ماذا يحكم الناس بأفضلية هذا على ذلك
من المرشحين ؟ ان أكثريتهم الساحقة لا يمكن أن تكون
على علاقة شخصية بواحد منها ، فلا تتمكن من الحكم
بموجب (خبرة) سابقة - فتحكم حسباً تقرأ عنه في

وهم يؤلفون أكثرية المالىين فى اوروبا وأميركا- من تشكيل شبكة مالية عالمية تستطيع الضغط على أية دولة تشاء وتستطيع خلق الخلافات الدولية عندما تريد .

يتبين من خلال هذا الواقع أن المالىين يحتكرون الكراسى النيابية سواء كانت هذه الكراسى اشتراكية أم ديموقراطية أم راديكالية أم محافظة ، وأنهم يتظاهرون بتأييد ما يشاؤون منها حسب اتجاهات الجماهير الحائرة الضائعة فى تفسير أسباب الفقر والأزمات . وسواء كان اعتناقهم هذا المبدأ أم ذلك مخلصاً أو غير مخلص فإنهم منتهون إلى النتيجة الواحدة : إنهم لا يستطيعون عملاً أساسياً يقلب مقتضيات الواقع الاقتصادى باعتبارهم مالىين (والصالح المالى) غير قابل التجزئة . إن المبادئ الجديدة فى الغالب من اشتراكية وغير اشتراكية تحظى بتأييدات كاسحة من جانب الجماهير ، لا سيما إذا كانت تعلق أسباب الفقر والحاجة باختلال فى الأنظمة القائمة ، فيبادر المالىون أيضاً إلى التمسك بها كما يتسنى لهم حماية مصالحهم من جهة وكسب تأييد الجماهير وعطفها عند الانتخابات أو بعد الانهيارات . فتمت لهم ذلك يقومون

ببعض إجراءات سطحية وحركات مسرحية إلى أن يأتي دور غيرهم . ويرى الناس أن إلغاء امتياز الشركات وتأميم الصناعات الكبيرة لم يقطع دابر الأغنياء ولم يرفع الفقراء ولم يوزع المال ولم يزل أسباب الحاجة والأزمات . وقد توضح أن المبادئ الاشتراكية في مجموعها تصطدم في النهاية بشرط أساسي من شروط حق الحياة وتلغي مفعوله: هو حرية الفكر والعمل. والعجيب أنه عند هذا الشرط تتفق شرعة الدين للمرة الوحيدة مع شرعة نظرية التطور القائلة بوجود حرية : تنازع الحياة لبقاء الأصلح ..

إن نظرية تنازع البقاء لدوام الأصلح تقتضي التزاحم الحرّ في ميادين الفكر والعمل لأجل بلوغ الأنسب في جميع الأمور. فحيث لا تزاحم حر وتسبق نحو الأفضل لا يتسع المجال لأي تقدم في أي شيء - بل يصبح الجميع مضطرين بحكم القانون لاتباع خطط مرسومة بصورة أوتوماتيكية . إن طبيعة الإنسان لا تدفعه إلى إجهاد الفكر والعمل ما لم يشعر بحاجة وبمزاحم قد يسبقه . هذه القاعدة تبرر حسب نظرية التطور كل تقدم أحرز

الجنس البشري في ميدان الحياة منذ أول فجر التاريخ إلى الآن . وهي تندمج مع مفهوم التعاليم الدينية القائلة بجرية الفكر والقول والعمل ضمن الناموس . لكن الاشتراكية تريد أن تمنع مفعولها ثم تزعم أنها مبدأ تقدمي ...

هذا الفشل أثار الحيرة والأسى في قلوب المراقبين المجردين في شؤون الحياة. وهذه الذهنية المادية كانت التربة الصالحة لنشوء ونمو المبادئ الاشتراكية المتنوعة التي تحاول تحقيق السلام وتأمين العدالة الاجتماعية بسلسلة من الأنظمة الاقتصادية المرتكزة على قواعد حسابية . وكان بديهياً أن تتفرع الاشتراكية إلى عدة مذاهب مختلفة ما دامت قد اعتمدت أوجه النظر المادية أساساً لمعالجة القضايا . إذ أن وجهة النظر المادية ينبغي أن تماشى افتراضات واستنتاجات منطبقة على التطورات الصناعية والزراعية بالنسبة للمدخل، وهذه لا تقع تحت حصر - لأنه كل يوم يطلع العلم باكتشافات جديدة وحالات مفاجئة تقلب الأوضاع السابقة . فهناك اشتراكية دولية ترمي إلى تأسيس شبه تحالف أو اتحاد دولي بين الدول

التي تعتنق النظرية في منع الاحتكارات الصناعية والزراعية الكبيرة ومنع احتكار المصالح العامة (منح الامتيازات) من قبل الأفراد أو الشركات الخاصة .

وهي لا تقر أي تمييز عنصري لجنسية على أخرى . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأحزاب الاشتراكية التي تعتنق هذا المذهب قد تسلمت الحكم في كل من فرنسا وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية على عهد الوزير (شترسمان - بريان) ، لكنها لم تستطع تنفيذ شيء من ذلك ولم تنجح في إزالة حتى سوء التفاهم وسوء النية . ولم تكن الأحوال الاقتصادية أحسن حالا ، لأن فرض الرقابة على الصناعات الخاصة أضعف قوة اندفاعها فصارت تتراجع فاتسع نطاق البطالة وتعاضم العجز الحكومي فتدهورت قيمة النقود المتداولة وتضخمت . وظلت الأزمات تتلاحق والحكومات تتساقط حتى تغيرت أوجه النظر إلى (الاشتراكية) عند عامة الشعب . فظهرت الاشتراكية الوطنية والعنصرية (النازية) في ألمانيا ، وقابلتها عودة الراديكالية المحافظة في فرنسا . ثم فشلت (عصبة الأمم) في مهمة نزع السلاح تديلا لحسن

النية بسبب تصلب هذه الحكومات (الاشتراكية)، وهكذا عادت ألمانيا النازية تبرر تسليحها من جديد .

والشيوعية نوع من الاشتراكية لكنها متطرفة تلغي حق الفرد في الملكية الخاصة وتعتبر جميع أفراد الأمة مسؤولين في أعمالهم كموظفين تابعين للدولة ، التي يؤلفها الحزب الشيوعي بصورة دكتاتورية تتخذ من وقت لآخر حملات تطهيرية واسعة النطاق تذهب بأرواح الألوف من أفراد الأمة نتيجة الصراع الداخلي الدائم بين أقطاب الحزب من أجل السلطة . ولما كان إلغاء الملكية الخاصة من صغيرها إلى كبيرها يخالف نظام الحياة الطبيعية كانت الشيوعية تتوقع التمرد على الدوام - فتحتاط وتحتمي بجهاز بوليسي إرهابي لا يكل. وبينما تزعم أنها ديموقراطية تقدمية نراها تسلب الفرد حرية تفكيره أيضاً وتقيد حركاته وسكناته ، وتنكر وجود الله ولا تعترف بشيء غير منظور، وتذهب فتتبع النظام الباطلي الذي كان يعتبر جميع أفراد القبيلة عمالاً يشتغلون ويجاهدون من أجل الملك الذي يعود بدوره ويوزع (الانتاج) عليهم بالتساوي.. وبينما هي تؤمن بإلغاء الفروق والميزات القائمة

بين طبقات المجتمع الرأسمالي - ترجع من الجانب الآخر
فتمنح أعضاء الحزب الشيوعي ولجانه المركزية من قوة
النفوذ والامتياز ما لم يكن يحلم به أمراء الأسر
الاقطاعية .

وقد تبين بجلاء أن الشيوعية لم تتمكن من بسط
الشعور بالسلامة العامة والسعادة الخالية من الخوف في
وقت من أوقاتها . لأنها لا تقدر أن تنزع حب السيطرة
والتسابق على النفوذ من قلوب القادة والتنفيذين ، لخلو
فلسفتها من هيبة الشريعة الأدبية .

إن الروحانية تستطيع في كثير من الحالات عند
القادة والمتزعمين المؤمنين - إيقاظ الضمير الرادع خوفاً
من الله والآخرة . فما من قوة تستطيع منع الحاكم بأمره
من التادي في قسوته وبطشه إلا قوة الإيمان بالله والخوف
منه .

يروى التاريخ كيف أن الحكام المؤمنين كانوا
يترددون كثيراً قبل الإقدام على فتوحاتهم وحملاتهم
القاسية خوفاً من الآلهة، فيؤجلون العمل حيناً ويبطلونه
حيناً آخر وينتحلون مئات الأعدار المبررة الآيلة إلى

تخدير الضمير وإرضاء الشريعة الروحية - في النهاية .
يظهر الانسان الكثير من التسرع والاتزلاق عند التعرض
لمواقف خطيرة حازمة وهو مقيد بنصوص الشريعة
الروحية - فكيف به إذا أفلت من هذه النصوص .

تهدف الشيوعية نظرياً إلى اصطناع مساواة حقوقية
مادية في المجتمع متركزة على توحيد المداخل : في سبيل
منع استغلال الانسان لأخيه ومنع تكديس الثروات الخاصة
نتيجة حرية العمل - فتحل (الدولة) محل الفرد في
استغلال الانسان لأخيه الانسان . وبدلاً من أن يصبح
نجاح هذا معلقاً على مشيئة سيده أو على نسبة تفوقه على
رفاقه في مضمار العمل الحر - يصير مقيداً أبداً بهيئة
حكومية جامدة تمنع حريته وتحد اندفاعه - فأي
الاستغلايين أفضل ؟

وتهدف إلى إزالة الفروق الاجتماعية الراجعة إلى
(الغنى والفقير) فتقسم المجتمع إلى (طبقات) يوجهها
العمال باعتبار أنهم المصدر الرئيسي لثروة الأمة . فيتولد
من جراء ذلك نزاع طبقي جديد أبعد مدى من تنازع
الغنى والفقير . مع العلم أن الشيوعية لم تنجح مع ذلك في

إزالة طبقه (الأغنياء) في مجتمعها ، إذ تبين أن المال لا بد من تكديسه في بعض الجيوب الحريصة على الإنفاق رغم تساوي المداخليل ! فالمسألة تستقر في النهاية في نفس الفرد وأخلاقه وطريقته في العيش، ولكل واحد عقليته الخاصة كما هو معلوم .

إن حب الادخار والميل إلى التحفظ إحدى الغرائز النفسية التي لا يمكن وقف نشاطها بواسطة قيود وتدابير خارجية . وإذا حيل بينها وبين مبتغياتها لا تزال حتى تكتشف المنافذ الجديدة بأحوال وأشكال لا تقع تحت حصر . هذه الحقائق مثبتة بأدلة علمية وجرى مثلها على صفحات التاريخ عند جميع الأمم . لكن يمكن الحد من نشاطها في الانسان بواسطة قيود وتعاليم روحية داخل النفس كالالتكال على رحمة الله والعمل بوجهه . أما في وسط مادي صرف وفي بيئة لا تُقر شيئاً روحياً فإن غريزة حب الادخار والاحتياط للمستقبل تقوى وتتأصل وتجد ما يبرر نشاطها الإجرامي إذا أُسدت في وجهها السبل الشرعية. إن مقاومة حب الطموح المادي في نفس الانسان بتدابير مادية يزيد هذا الطموح قوة ونشاطاً .

إن أقرب وسيلة إلى طبيعة الإنسان نحو تحقيق طموحه
الزمني هي طريق العمل الحر المثمر . فإذا سدت هذه
الطريق في وجهه فإن طموحه لا يقف ولا يضعف بل
يأخذ في انتحال الوسائل الأخرى السياسية المشبعة بروح
النميمة والتجاوز على مبادئ الشريعة الأدبية .

لعل أغرب ما في الشيوعية أن اليهودية العالمية هي
مخترعتها وناشرتها ومنظمة أجهزتها أصلاً وفصلاً، واليهودية
العالمية تمتلك أكبر رأسمال عالمي والشيوعية تحارب
رأس المال ! لكن وجه الغرابة يتضاءل عندما تبدو
الشيوعية ثمرة من ثمار التفكير المادي اليهودي المسيطر
على العالم الغربي ، وقد يتوارى وجه الغرابة عندما يتبين
أن الشيوعية واحدة من جملة مذاهب اجتماعية مادية
متناقضة اخترعها المؤلفون اليهود وانصرف المليون إلى
نشرها وتغذيتها على مراحل متفاوتة لبلبل الجماهير
وتقسيم شملها ، محافطة على الأوضاع والرساميل القائمة في
أيدي اليهود . إن تفاصيل هذا الموضوع لا يتسع لها
المكان هنا .

الانسانية والسلام

الانسانية شعور بالشفقة على الآخرين يولد الرغبة الصادقة في مساعدتهم وإزالة أسباب شكواهم ، شعور داخلي في النفس يصدر عن الاحساس بوطأة الظلم ويثور ضده ، إحساس لا شك في أنه أحد مظاهر الضمير الانساني المعبر عن صوت الله .

غير أن أكثر (انساني) العالم يميلون إلى تعظيم هذا الإحساس وجعله دستوراً للحياة بدون الروح ويعتقدون بإمكان إصلاح الحياة البشرية وتأمين السلامة العامة من دون حاجة إلى الإيمان بالله . مردّ هذا الإحساس في النفس ينسبونه إلى أثر الانفعالات (البهائية) على (الفكر) بمرور مئات الوف السنين !

جوهر الموضوع كما يتضح ينحصر فيما إذا كان باستطاعة الشعور الانساني الكامل - مجرد عن الإيمان بالله وخوفه - أن يكفل تأمين السلام في محيطه . هنا ينتقل بنا البحث إلى النقطة الفاصلة فيه وهي : هل الشعور الإنساني الكامل يمنع من الوقوع في الخطأ وارتكاب الهفوات ويكفل دوام الصفات المنزهة عن الحسد والكبرياء وسوء الظن والاستبداد بالرأي ؟ يثبت الواقع التاريخي أن ما من مصلح من الناس اشتهر بالصلاح والانسانية إلا ووقع في أثناء حياته في جملة أخطاء . وأن مرور الزمن وارتقاء المراكز الرفيعة في المجتمعات من شأنه التأثير البالغ على النفس الإنسانية بحيث تتغير أوجه التفكير فيها وتنقلب أوضاعها الأدبية رأساً على عقب . الهادىء والمتواضع يصبح قلقاً مستبدأء، وسموح النفس وكريم الأخلاق يصير ضيق الصدر سيء الظن . فالنفس أمارة بالسوء والإنسان عقوق كَفَّار يواجه الظروف العديدة والحالات المختلفة بأشكال وصور متقلبة . كأنه يستلهم كل واحدة منها النظرية التي تناسبها والخطة المنطبقة عليها . ويتبين أيضاً أن المؤمنين من

رجال الله أعلنوا ضعف النفس البشرية وعجزها عن الحياة معصومة عن الخطيئة وكانوا في طليعة المعترفين بأخطائهم الخاصة العديدة يتلمسون رحمة الله وعونه كي يحفظهم من عشرات المستقبل . فما دام الخطأ محتم الصدور عن كل نفس بشرية مهما تكن انسانية وتقية في بعض الأحيان - كيف يجوز لنا أن نتوقع من بعض الأنظمة المادية ضمانا للسلامة العامة يكفل إجراء الحق وتطبيق العدالة في كل زمان ومكان ؟

أنتجت الإنسانية في الماضي مئات من الرجال الصالحين وأوحت بعدة مبادئ أساسية للحياة والسلامة العامة . وجاءت أزمنة تسلّم فيها زمام الناس كثير من الاتقياء والخلصين وكانت مبادئ الحرية والمساواة والعدالة كفيلة بحماية حقوق الأفراد والجماعات في نصوصها ، لكن الأخطاء كانت تدب من جديد والأطماع والاعتداءات تعم المجتمعات ، سواء من جانب الحكام والرؤساء أم من جانب الأفراد العاديين بسبب الفقر والحاجة والغيرة والحسد والاستبداد بالرأي .

يتبين من جهة ثانية أن وجود أداة صالحة على وجه

الافتراض، مكونة من شخص واحد أم من جملة أشخاص،
على رأس أمة أو جماعة تتسلم الحكم والقضاء بموجب
قوانين عادلة - لا يكفل استتباب السلامة العامة ما دام
في ذلك المجتمع أفراد غير صالحين وغير كاملين . وأية
جماعة تخلو من الفاسدين وأي مجتمع لا يتفسخ ؟

سلامة المجتمع تعني خلوه من الاعتداءات الفردية على
حقوق الغير ولا شيء يدفع إلى العدوان ويثير الطمع في
نفوس الأفراد سوى الحرمان مما يستمتع به الغير من
الخيرات . فالعامل الاقتصادي لا يصح أساساً لمنع العدوان
ما لم يتمكن من منح جميع الأفراد الخيرات بالتساوي، بعد
التأكد من سلامة الأخلاق وصحة النظام . أما إذا لم
يتمكن من مساواة الناس في جميع خيرات الأرض وهو
غير ممكن على الإطلاق - فإنه يهبط إلى المرتبة الثانية أمام
العامل الأدبي الذي يستطيع العمل ضمن أي نظام
اقتصادي مقاوماً للفقر بالعمل الشاق، والشهوات والمطامع
بالصبر والتقوى . فسلامة المجتمع مسألة أعمال وتصرفات
تصدر عن نوايا ومطامح نفسية في قلوب تنشأ في كل بيئة
وتحت كل نظام وفي أية ظروف . غير أن نسبتها تقل

بالتربية الحسنة عند الذين يخافون الله في قرارة نفوسهم ،
وتزداد ضمناً حيث يقل تأثير التربية الروحية وحيث
ينعدم خوف الله .

مثلاً تتحكم الأخلاق من جهة والأخطاء والمفوات
من جهة أخرى بمصير السلم وسط الجماعات الصغيرة
كذلك تتحكم أخلاق الحكام وأخطاؤهم بمصير السلام
الشامل بين الأمم . فحيث لا بد من الخطأ لا بد من
أعمال تنتهي بعرقلة السلام ، وإثارة الحروب . ليست
القضية قضية مبادئ ونظريات ، يرجى من نصوصها
منع الحرب . إذ أن هذه النظريات كانت موجودة عند
الأمم ، منذ مئات السنين . ومرت ظروف وظهر حكام
اتخذوا منها الأسباب المبررة لجرّ الشعوب إلى القتال .
القضية تتبلور أخيراً في ضعف خلقي في النفس البشرية
سواء كان في قلوب الحكام أم في الأفراد .

عصبة الأمم والسلام

في الحرب العالمية الأولى ، بلغت نقمة الشعوب على الحروب حدًا أقصى ، وبلغ من ثورة الضمير الإنساني على فظائنها ، ما أهاب بالمتحكين أن يعملوا جدياً على وضع تشريع عالمي يمنع نشوب الحروب ويقتص من مثيرها .

فلما انتهت الحرب اجتمع رؤساء الدول المنتصرة في (فرساي) ، حيث اقتسموا الغنائم ، ورسوموا خريطة جديدة لأوروبا ، وعقدوا الصلح ، بموجب (معاهدة فرساي) .

ثم انتقلوا إلى بحث موضوع منع الحرب في المستقبل فاستقر الرأي على وجوب تأليف عصبة من جميع الأمم يكون من حقها أن تنظر في أي خلاف دولي .

كذلك يكون في مقدورها أن تحكم على المعتدي .
وتحول دون عدوانه بجميع الوسائل .

وكان على عصبة الأمم أن تفصل بالحق في كل شكوى
تقدمها الدول الصغيرة ضد الدول الكبيرة ، سواء كانت
محكومة أم شبه محكومة . فهللت الشعوب طرباً ،
وتنفس الناس الصعداء ، وشكروا ربهم .

مرت حقبة من الزمن ، وأخذ التاريخ مجراه :

دولة صغيرة تشكو دولة كبيرة من سوء المعاملة
والعدوان ، فتهمل شكواها .

دولة كبيرة منتدبة تخالف ميثاق الانتداب باضطهاد
الوطنيين الأحرار ، وخنق الحريات العامة ، وامتناع
ثروة الشعب ، فتتجاهل عصبة الأمم الشكاوى .

هدد موسوليني باحتلال الحبشة وضمها إلى بلاده ..
فلم تحرك العصبة ساكناً

وبينا كان يخطب أمام الألوف من الفاشيست ، معلناً
عزم إيطاليا الأکید على اغتصاب الحبشة ، وجيوشه
تقتحم الحدود ، وطائراته تدك المدن والقرى ؛ كانت
(العصبة) ترسل اللجنة تلو اللجنة (للتحقيق) في من

هو المعتدي ! وما كاد يتم احتلالها حتى بادرت الدول الكبرى الأعضاء في العصبة تتسابق للاعتراف بملك إيطاليا وامبراطور الحبشة :

طالبت الدول الكبيرة غير المسلحة مراراً وتكراراً بنزع سلاح الدول المسلحة ، ما دامت العصبة كفيلاً بحفظ السلام ومنع العدوان ، فكان نصيب مطالبها الإهمال .

فانسحبت تلك الدول من العصبة وأخذت تتسلح ؛ وهكذا عاد سباق التسلح إلى سابق عهده .

خاب أمل الشعوب المحكومة على أمرها ، وفقدت كل ثقة لها بالعصبة التي كانت تقيم في كل جلسة دليلاً جديداً على أنها باتت أداة تسيورها الدول الاستعمارية للمحافظة على سيطرتها .

إن المسرحيات والألعاب التي قامت بها عصبة الأمم لخدمة الاستعمار على ظهر النصوص البراقعة ، والمبادئ الشريفة ، لينجّل اليوم صغار الأولاد من تمثيلها على مرأى من الناس .

لم يكن العالم في وقت من الأوقات بحاجة إلى نصوص

برّاقة من صنع الانسان بفضل التعاليم السماوية التي تكفل
حق كل انسان وحدود كل أمة .
ولا زالت العصبية تتخاذل أمام الحق ، وتراجع أمام
المعتدين حتى باتت مسؤولة مباشرة عن اشتعال نيران
الحرب العالمية الثانية .

هيئة الأمم والسلام

من أكبر مآسي العالم أن كل حرب تقع فيه تنشب
لأجل إزالة الحيف الناتج عن الحرب التي سبقتها ...
أي أن كل حرب تحدث لأجل إزالة نتائج الحروب
السابقة و ضمان الأمن والسلام بصورة دائمة .
وتأتي التدابير اللازمة للحيلولة دون حرب أخرى
فتكون بجد ذاتها سبباً مباشراً لإثارة حرب أخرى .
كما أنشئت عصبة الأمم بموجب معاهدة فرساي لإزالة
الحروب ، فكانت العامل على إثارة أكبر حرب أخرى .
في أثناء هذه الحرب - الحرب العالمية الثانية - من
كان يظن أن أحداً سوف يفكر بإمكان نشوب حرب
جديدة !!

إن أهوال الحرب العالمية الثانية ما برحت ماثلة أمام كل عين يوم انقسم العالم إلى معسكرين كل منهما يعيدُ العالم بعد فوزه - بالف سنة سلام

كان الجانبان يستमितان من أجل النصر ، ومن أجل تحقيق هذا الحلم .

ولما أخذ نجم النازية الفاشستية بالأفول ، بدأ ممثلو الدول الحليفة المنتصرة في عقد المؤتمرات للبحث والتشاور فيما ينبغي تقريره لأجل منع الحرب .

ولقد أشار خبراء السياسة والحرب على المؤتمرات المنعقدة لهذه الغاية أنه لا يمكن قيام سلام دائم في أوروبا والعالم ما دامت الدولة الألمانية قائمة .

لذلك ينبغي احتلال ألمانيا من جانب الحلفاء لمدة لا تقل عن خمسين سنة ثم تشكيل هيئة تمثل جميع الأمم ومجلس للامن من الدول الكبيرة للفصل في الخلافات التي قد تؤدي إلى خطر يهدد السلام .

على هذا الأساس تم تقسيم ألمانيا واحتلالها من قبل الدول الكبرى المنتصرة وهي الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .

ما كادت حرارة الحرب تبرد حتى تبين أن الدول
المحتلة منقسمة أيضاً على ذاتها (من حيث المبدأ) إلى
قسمين : قسم شرقي يدين بالمبدأ الشيوعي ، وقسم غربي
يدين بالديموقراطية الرأسمالية ، الغربية .

واخذ التنافس بين المعسكرين الجديدين يتبلور
وأخذ التسابق على الزعامة والشهرة والقوة يدب قرنيه
حتى باشر كل جانب في جمع الانصار ، وإنشاء الكتل ،
وبالتحفظ والاستعداد .

وتألفت هيئة الأمم من الدول المستقلة بعد موافقة
الجانبيين .

غير أن هذه الدول لم تلبث طويلاً حتى انقسمت هي
الأخرى إلى فئتين : فئة تهاشي سياسة المعسكر الشرقي
بزعامة الاتحاد السوفياتي ، وفئة تهاشي سياسة الغرب
بقيادة الولايات المتحدة .

على أن كفة الولايات المتحدة أخذت تتفوق على كفة
الاتحاد السوفياتي في صفوف الدول الأعضاء عند التعرض
لكل ما يمس مصلحة هذه الدول مباشرة .

فإذا كانت القضية لا تهم مصلحة الدولة المتزعمة

مباشرة فإن قرارات هيئة الأمم تظل حبراً على ورق .
صارت أعمال المنظمة العالمية تسير في حلقة مفرغة
واعتراها الشلل .

لقد طُرحت عليها قضايا الدول الصغيرة المعتدى عليها
من جانب الدولة الكبيرة ذات النزعة الاستعمارية كقضايا
الشرق الأقصى ، والشرق الأوسط ، وفلسطين وغيرها ،
فكانت تماطل وتراوغ وتداور وتنسج على منوال
(عصابة الأمم) .

كيف يطمئن العالم إلى سلامة شعوبه في ظل منظمة
يكتنفها التنافس والتناحر - منظمة تقسمها جهتان
لا تثق إحداهما بالأخرى ؟

تشابكت مرامي الدولتين (العملاقتين) في الشرق
الأقصى منذ عشر سنوات وظلَّت الأمور تتدهور من
سيء إلى أسوأ حتى انشطرت قيتنام إلى شطرين : دولة
شمالية تدعها الشيوعية بكل قوتها ، ودولة جنوبية
تدعها الولايات المتحدة بصورة مكشوفة . ونشبت
حرب ضارية بين الجانبين على مرأى من دول العالم
الأعضاء في هيئة الأمم ، وأعضاء مجلس الأمن .. حرب

استمرت أكثر من ست سنوات، تخللها من الدمار والقتل والتخريب أكثر مما تخلل الحرب العالمية الثانية . وفيما كانت (مفاوضات السلام) تجري في باريس كانت الغارات الأميركية الكاسحة تمحو المدن الفيتنامية من الوجود بقصد تأمين الحرية والسلام للشعب الفيتنامي ! تمثيل جديد لإحدى مسرحيات عصبة الأمم التي يقوم بإخراجها مجلس الأمن .

لم تتفق سياسة الدولتين العملاقتين في التاريخ إلا مرة واحدة ، عندما تسابقتا على الاعتراف بدولة اسرائيل المزيفة بعد منتصف الليل سنة ١٩٤٥ - على تشريد شعب فلسطين . وقد سبقت في ذلك أمريكا .

من ذلك الحين والمآسي تتكرر والتحيز الأمريكي يأخذ مجراه ، والتصريحات الصادرة عن الجانبين تؤكد وجوب العمل على إزالة الحيف وإحقاق الحق وتطبيق العدالة ، والأسلحة تتدفق على الجانبين من الجهتين .

وقعت حرب حزيران ١٩٦٧ ، فوسعت إسرائيل رقعة وجودها رغم معارضة جميع الدول، فتحركت هيئة الأمم وقررت وجوب انسحابها فوراً . لكنها لم تفعل ولا

تزال ترفض التقييد بالقرار علناً . فلما أوشكت على
مواجهة المصير المحتم بعد حرب تشرين الأول طلعت
(الدولتان) باقتراح عقد هدنة وبدء مؤتمر (سلام) في
جنيف يترتب عليه تحقيق العدالة والسلام لصالح
الجانبيين ! وانخدع بعض الرؤساء العرب .

تمثيلية جديدة يجري إعداد فصولها على ضوء
سجلات عصبة الأمم ومخططات مجلس الأمن ومحادثات
باريس للسلام في فيتنام ...



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Biblioteca Alessandrina

أنظمة النقد

إن قوة الله التي أوجدت الحيوان والنبات ونظام الطبيعة وأخيراً الإنسان - لم تغفل عن إيجاد وسيلة يتعامل بها الناس في الأخذ والعطاء مقابل شيء ذي قيمة معينة ثابتة .

كانت هذه الوسيلة وجود مادة محددة جميلة لا تفسد ولا تصدأ ولا يمكن أن يعتورها الزوال بشكل من الأشكال هي مادة الذهب . لكن طموح الإنسان لم يكن في وقت من الأوقات يقبل ترتيبات الله بل كان على الدوام يحاول اختراع ما (يعتقد) أفضل .

بعد الكثير من المحاولات الفاشلة (بواسطة اكتشاف الورق) توصل إلى وضع نظام نقدي للتعامل على أساس

مطبوعات ورقية تدعى بنكنوت مؤمن عليها بمعدن الذهب .

إلى هنا كانت الفكرة حسنة وأكثر ملاءمة للتعامل لا سيما متى كانت الكميات المتعامل بها كبيرة .
غير أنه تبين بمرور الزمن أن الطريقة تفسح المجال واسعاً أمام الحكومات والهيئات المصدرة (للبنكنوت) لتخفيض قيمة الضمانة الذهبية للورق كلما وقع عجز في ميزان خزانة الدولة .

وأن ما من عملة ورقية صدرت بقيمة معينة تمكنت من المحافظة على قيمتها الأصلية بمرور الزمن . وتطور الوضع وإذا بدء التضخم النقدي يصبح نتيجة حتمية لكل عملة ورقية .

حكومة الولايات المتحدة تحاول اليوم إيهام العالم أن باستطاعتها إنقاذ فكرة النظام الورقي يجعل عملتها (الدولار) عملة ورقية عالمية غير قابلة للسقوط بفعل (التضخم) . غير أن الواقع أثبت فشل هذه المحاولة لأن قيمة الدولار هبطت ولا تزال عرضة للسقوط كلما تعاظم العجز في ميزان مدفوعاتها ، وكلما تألبت عليها

المضاربات الخارجية من سياسية وغير سياسية . ثم من
(يضمن) دوام قدرتها في السيطرة على العالم ليحتفظ
الدولار بأي قيمة ؟

حاول الإنسان مراراً أن يتفلسف ويتطاول على
سنن الله وقاموس الطبيعة ، فلم ينجح في واحدة منها .

القدس - نبذة تاريخية

تعتبر مدينة القدس من الوجهة الدينية - لا سيما القسم الشرقي منها أي اورشليم - بقعة مقدسة مئة بالمئة عند جميع الطوائف المؤمنة .

إنها نقطة الارتباط الوحيدة على الأرض بين الله تعالى والإنسان .

كانت هدف التوراة وحلم الأنبياء ومصدر الإنجيل ومهبط الوحي وطريق الحياة الأبدية الموعود بها .

إليها أسرى الله بعبده (النبي محمد) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

سؤال مهم يتبادر إلى الذهن هنا : - لماذا تكون بقعة صغيرة معينة مفضلة على جميع جنات الأرض ومدنها الكبيرة ؟

الجواب ينحصر في تقطتين :

الأولى : أن للمكان أهمية تاريخية خاصة فيما يتعلق بوجود الإنسان الأول آدم في جنة عدن ومخالفته وصية الله وسقوطه وفقدان نسله من بعده حق الحياة الأبدية - والخطط الموضوع من قبل الله لاستعادة الانسان حقه هذا .

النقطة الثانية: توضحها التوراة في قول النبي حزقيال يوحى من الله « قد أقمت اورشليم في مكان يتوسط جميع الأمم والممالك » . فأرض فلسطين تربط قارات العالم القديم الثلاث كما تتوسط قلب الشرق الأوسط، مهد المدينة .

في نحو السنة ١٠٤٦ ق. م. احتل رجال الملك داود الحصن والقرية (حصن صهيون كما كان يدعى بلغة اليبوسيين) . وأحسن مجاذبٍ يدفعه إلى جعل المكان عاصمة مملكته ، فأمر بإحاطته بسور منيع ودعا المدينة (أورشليم) مدينة السلام. وجعلها عاصمة المملكة. بقيت المدينة عاصمة مملكة يهوذا نحو ٤٥٠ سنة تولى الملك فيها أربعة عشر ملكاً من نسل داود كان آخرهم صدقيا الذي

أسره ملك بابل نبوخذ نصر . سبي الملك جميع سكان
المدينة إلى بلاده بعد ما هدم السور والهيكل والقصور
الفخمة . من ذلك الحين لم يقيم لليهود كيان سياسي أو
إداري في المدينة بل صاروا جالية تميزت بتقاليدها
الدينية .

تدسم القدس - والمقصود هنا هو القسم الشرقي
منها أي أورشليم المحاطة بالسور - بتاريخ حافل بالغزوات
والمعارك الدامية بصورة لا مثيل لها في مدن العالم أجمع
رغم حداثة وجودها بالنسبة إلى عواصم ومدن العالم
القديم . ويخيل لمن يتصفح التوراة والانجيل كأنما
المدينة توازي في أهميتها عند الله الجنس البشري كله .
فرموز العهد القديم وتنبؤات رجاله والوقائع الهامة التي
طرات على المؤمنين فيه كانت تشير إلى مكان مقدس
فيها قبل أن تبني بنحو ألفي سنة . وفيها عاش أكثر
الأنبياء والمسيح والرسل وفيها كتبت أسفار التوراة
والإنجيل وفيها حفظت .

حوصرت المدينة لا أقل من سبع عشرة مرة
وأحرقت وهدمت إلى الحضيض في سنة ٥٨٦ ق . م .

وعاد الرومان بقيادة تيطس فهدموا هيكل (هيرودس) ولم يتركوا فيها من أثر لكائن حي . وقصص القتل والنهب وسفك الدماء فيها وحولها تكاد تكون متصلة الحلقات .

انقسام المملكة إلى دولتين :

بعد موت الملك سليمان بن داود وقعت حرب أهلية انتهت بانقسام مملكة داود إلى شطرين: جنوبي شمل القدس وبيت لحم وحبرون سمي مملكة يهوذا ، وشمالي ضم جبعة وشكيم (نابلس) حتى حدود صور سمي مملكة السامرة المملكة الجنوبية عاصمتها أورشليم توارث عرشها نسل الملك داود ، والشمالية عاصمتها السامرة (البلدة المعروفة اليوم باسم سبستية قرب نابلس) تولى الملك فيها في البداية يربعام بن نباط باني هيكل سليمان* الملقب بحيرام ثم تلاه البعض من نسله وقادة جيشه . المملكة الجنوبية كانت أطول عمراً من المملكة الشمالية وظلت وفيّة لنسل داود حتى سبي أهلها نبوخذنصر ملك بابل .

تجدر الإشارة هنا إلى أنه تولّد بمرور الزمن فارق كبير في المعنى بين كلمة (السامرة) عاصمة إسرائيل

* هكذا في مخطوط المؤلف .

المنشقة عن مملكة أورشليم وكلمة (السامرية والسامريون) — فارق لا يجوز المرور به دون توضيح مسهب نظراً للدور التاريخي الهام الذي مثله السامريون فيما بعد على المسرح التاريخي للمنطقة . فالسامرة كانت عاصمة دولة اسرائيل المنشقة عن مملكة داود بعد موت الملك سليمان .

اختفى ذكر اسم اورشليم من التاريخ نحو سبعين سنة بعد سبي نبوخذ نصر ولم يبق من أثر لوجودها غير أكوام من حجارة سوداء . لكن زمام السلطة على الشرق الأوسط كان قد أفلت من يد بابل العظيمة إلى أيدي ملوك فارس الذين اعتمدوا سياسة اللين تجاه اليهود . وفي سنة ٥٣٦ ق. م. أصدر الملك سيروس الفارسي أمراً بوجوب عودة المسيحيين إلى مدنهم وإعادة بنائها . بعد سنتين بدأ العمل في تشييد المساكن الشعبية في أورشليم والكشف عن أساسات الهيكل وبوشر بترميم ما تيسر من جدار السور بقيادة النبيين زكريا وحجي . توقف العمل مدة بسبب الشكاوي التي قدمها السامريون إلى العرش الفارسي ضد اليهود العائدين قائلين إن هؤلاء أمة متمردة لا تلبث حتى تثور على مملكة فارس . وفي سنة

٤٥٧ ق. م. قدم (عزرا) * على رأس قافلة جديدة من العائدين من بابل مع هدايا ونجدات من ملك فارس . وقد بذل جهده الأكبر في سبيل إعادة بناء الهيكل وإقامة المذبح كما تقضي الشريعة فكان له ما أراد . بعد بضع سنوات جاء (نحemia) أيضاً من بابل مع قافلة جديدة وأخذ يبحث الكهنة على وجوب ترميم سور المدينة بصورة كاملة قبل بناء بقية منازل السكن . ويبدو أن نحemia حكم المدينة من قبل ملك فارس منذ سنة ٤٤٥ ، لكن مدة حكمه وزمن موته بقيا مجهولين . كانت السلطة التالية لرئاسة الدولة في عهد نحemia مناطة برئيس الكهنة . فلما مات نحemia وتلاه رئيس الكهنة اختلف (ولدا رئيس الكهنة المتوفى) يوحانان ويشوع ، على الرئاسة وتبين أن القائد الفارسي كان يؤيد يشوع . تخاصم الرجلان في الهيكل وقتل يوحانان أخاه يشوع قرب المذبح فأثار ذلك نقمة المفوض الفارسي الذي استغل الفرصة . فالغى معظم الميزات التي كان يتمتع بها رئيس الكهنة وفرض ضريبة إضافية على التقدّمات لمدة سبع سنوات . كان ليوحانان إبنان (يدوع ومنسى) يساعده في الخدمة * هذه معلومات مصدرها التوراة . ولم تثبت صحتها تاريخياً ، وإنما هي مقبولة من جهة دينية فقط .

الكهنوتية فلما مات اختلفاً أيضاً على الرئاسة . كان يدّوع
أحقّ بالرئاسة وقد استأثر بها فعلاً ، لكن منسى كان
يتمتع بشعبية قوية رغم أنه كان قد تزوّج امرأة غير
يهودية مخالفاً بذلك وصية الناموس . فنظّم حزب
(نحميا) معارضة قوية لجنوح منسى أدّت إلى رحيل
منسى مع أنصاره إلى السامرة حيث قوبل بكلّ ترحاب
ثم عين رئيساً للكهنة فيها ليخدم في هيكلهم المقدس على
جبل جرزيم قرب نابلس . في هذا الوقت وصل جيش
الاسكندر المكدوني إلى ساحل صور وأقام الحصار على
المدينة . بعث الاسكندر برسالة إلى يدّوع يطلب مساعدته
بمؤن وعتاد في حربه ضد الفينيقيين، لكن يدّوع رفض
ذلك قائلاً انه مرتبط بعهد مع داريوس ملك فارس . في
تموز ٣٣١ ق. م. سقطت صور بيد الاسكندر وكان
بودّه أن يرجع لتصفية حسابيه مع أورشليم لكنه فضل
متابعة الزحف جنوباً على مصر لعظم أهميتها . أحد
حلفاء الاسكندر (بتولي سوتير) زحف على المدينة
سنة ٣٢٠ ق. م. واحتلها . واضطهد هذا القائد سكانها
بقسوة ودنّس الهيكل ورحّل كل قادر على السير إلى

الاسكندرية وشمال أفريقيا . خضعت المدينة بعد ذلك نحو مئتي سنة يتنازعها خلفاء الاسكندر الواحد بعد الآخر ، وكل واحد يقوم بما يحلو له من إجراءات . لكن رؤساء الكهنة ظلّوا يمارسون عملهم تحت سيطرة القادة من اليونان .

تقبل الشعب صبغة الثقافة اليونانية بسرعة – اللغة والتقاليد والعادات الاجتماعية وآداب السلوك – حتى أن رؤساء الكهنة صاروا يستبدلون أسماءهم بأسماء يونانية . كان أول من فعل ذلك يشوع شقيق أوناس الذي تسمى (جاسون) سنة ١٧٥ ق. م . أهم ملك يوناني حكم سوريا و (فلسطين) كان أنطيوخوس أيفانوس ١٧٥ – ١٦٤ ق. م. بدأ بأن جعل وظيفة رئاسة الكهنة تباع من جانبه لمن يدفع المال من طلابها . كما أدخل على المدينة كل مبادئ الثقافة اليونانية بالقوة – الدينية والاجتماعية والأخلاقية وجرّ الكثيرين إلى التخلّي عن عبادة الله وتقديس الهيكل إلى عبادة الأوثان بمساعدة جاسون رئيس الكهنة مع شقيقه مينيلوس . في سنة ١٧٠ ق. م. اشترى مينيلوس الرئاسة من

أنطيوخوس وطرده شقيقه جاسون من المدينة، غير أن هذا عاد ليلاً مع أنصاره وقام بمجزرة فظيعة في المدينة انتقاماً من الملك وفرّ إلى شرق الأردن . فلما علم أنطيوخوس بما جرى جاء فنهب عدة الهيكل وأقام مذبحاً (لزفس) وأمر بعبادة (هرقل) . لم يجرؤ رئيس الكهنة على مقاومته . فترك قسم كبير من السكان عبادة الله واتبعوا عادات العبادة الوثنية ، الأمر الذي أدى إلى ظهور معارضة قوية من جانب اليهود المحافظين عرفت بحركة المكابيين بقيادة يوداس (يهوذا) وفئة تناصر رئيس الكهنة وأنصاره من المتأثرين بثقافة اليونان . ولقد وقع من فظائع تقاتل الفئتين في أزقة المدينة ما يعجز القلم عن وصفه . فلما استقر الأمر للمكابيين مات أنطيوخوس وتسلم السلطة ديمتريوس . استمرّ خلفاء يوداس من المكابيين في التمركز في المدينة تارة بالتحالف مع القادة اليونان وطوراً مع وقوع اشتباكات جانبية نحو خمسين سنة ، وكان أشهر قادتهم يوحنا مرقانوس الذي لقب بالكاهن الأكبر . في عهده ظهرت طائفة الفريسيين من متطرفي اليهود وطائفة الصدوقيين الأقل تعصباً .

كان يوحنا فريسيًّا لكنه عاد وانقلب عليهم مؤيداً
الصدّوقيين . سنة ١٠٥ ق. م. تسلم الرئاسة اسكندر بن
يوحنا وكان مثل والده مؤيداً للصدوقيين ، مما سبب ثورة
أهلية بين الفريسيين والصدوقيين قتل فيها عشرات في
شوارع المدينة ، وبعد موته أصبح الفريسيون الأكثرية
الساحقة . وكانت الامبراطورية اليونانية المجزأة قد انتقلت
إلى أيدي الرومان . بعد موت اسكندر تسلمت زوجته
السلطة مدة قصيرة ثم تنازلت عنها لابنها البكر هيرقانوس
لكن شقيقه (أريستوبولس) لم يلبث حتى ثار عليه
بمساعدة الصدوقيين ، فانقسمت المدينة من جديد وعاد
التقاتل . فاستعان هيرقانوس بملك دمشق (آرتاس)
واستعان (أريستوبولس) بأحد قادة (بومي) ، وكان
ذلك سنة ٦٥ ق.م. وبعد قتال مرير استمر بضع سنوات
وقتل فيه (١٢) ألف رجل استقرت رئاسة الكهنة بيد
ميرقانوس والسلطة المدنية بيد (انتي باتر) من رجال
(يوليوس قيصر) المخلصين . وأنتي باتر من أصل آدومي -
عربي ومن أسرة شريفة عرفت بمواليتها لرومية أثناء
حملتها على مصر . سنة ٤٧ ق. م. قدم (انتي باتر) ابنه

(هيرودس) للشعب وهو بعد فتى على أن يكون خليفته . بعد نحو خمس سنوات قتل (انتي باتر) في قصر هيرقانوس رئيس الكهنة بواسطة (مليكاس) أحد منافسيه ، فبادر هيرودس الفتى وذبح القاتل في الحال وتسلم السلطة . لكن خطراً جديداً نشأ بظهور الابن الأصغر لأريستوبولس خصم هيرقانوس مع قوة يهودية من خارج أورشليم زاعماً أنه يريد زيارة الهيكل .

كان هيرودس قد أبحر إلى رومية لتقديم الولاء وتسلم السلطة من القيصر . فلقي ابن اريستوبولس (أنتيكونس) مقاومة شديدة من هيرقانوس وشقيق هيرودس والجند الروماني كانت ناجحة في بادئ الأمر . غير أن الوضع انقلب لصالح انتيكونس بسبب تأييد كاسح من جانب الفلاحين المتدققين من خارج المدينة . وسنة ٤٠ ق.م . أصبح ملكاً عليها بمؤازرة البارثيين . بعد ثلاثة أشهر رجع هيرودس من روما مؤيداً من القيصر مع قوة كبيرة من الجند الروماني وحاصر المدينة بقيادة (سيلو) . وتغلب هيرودس على مقاومة المدينة وقتل معظم أعضاء المجمع من رؤساء الكهنة ، لكن أكثر الشعب

كانت لا تزال غير وقيّة له . في ربيع سنة ٣١ ق. م .
حدثت هزة أرضية كبيرة قتلت نحو ١٢ ألفاً من السكان .
وفي السنة التالية توفي (هيرقانوس) . فقويت شوكة
هيرودس عند ذلك وصار يبالغ في مساندة العناصر
المؤيدة له من السكان غير المتعصبين . وفي ٢٥ ق. م .
وقعت مجاعة شديدة بسبب الجفاف مات على أثرها عدد
كبير من الفقراء . وفي السنة التالية وقع هيرودس في حب
ابنة أحد الكهنة وتزوج منها ، فأصبح أشد عطفاً على
اليهود واستال قسماً منهم . وأخيراً قرر إعادة بناء الهيكل
بموجب تصميم ضخم وجمال فني لا مثيل له . تم البناء في
نحو السنة ٩ ق. م . وكان آية في الجمال . لكنه خطر
لهيرودس في الختتام أن وضع رسماً محفوراً للنسر شعار
الامبراطورية الرومانية فوق مدخل قدس الأقداس في
في الهيكل مع اسم (أكرييا) الوزير المفضل عند القيصر .
فأثار بذلك نقمة المحافظين اليهود ، وهؤلاء أثاروا بدورهم
عامة الشعب وبدأ الخصام من جديد . ثم ان بعض رؤساء
الكهنة طلع بإشاعة أن هيرودس يحتضر ثم حث المؤمنين
على تزع الشعارات التي وضعها هيرودس مدناً قدسية

الهيكل . فلما علم هيرودس بالأمر قبض على المحرّضين وأحرقهم بالنار أمام جماهير الشعب . وكان متياس رئيس الكهنة ويوداس من جملة الذين أعدموا . وفي السنة التالية توفي هيرودس وتسلم ابنه (أرشيلوس) السلطة من بعده . هكذا كان وضع المدينة عند مولد السيد المسيح وبدء التاريخ الميلادي .

بدأ (ارشيلوس) حكمه بعد تثبيته من روما بمحاولة التخفيف من تقمة اليهود على السلطة الرومانية بسبب تصرفات هيرودس الأخيرة . دعا الرؤساء وجهور الشعب إلى احتفال كبير أمام الهيكل ووعده باطلاق سراح المساجين وتخفيف الضرائب والعفو عن المبعدين فلقي بعض التأييد . وفي سنة ١٤ ميلادية توفي القيصر اوغسطس وتسلم طيباريوس رئاسة الامبراطورية فاقال حكام سلفه وعين (كراتوس) على اورشليم واليهودية . وبقي هذا في الحكم حتى سنة ٢٦ ثم اقبل وعين (بيلاطس) مكانه . حاول بيلاطس إعادة إشارة النسر إلى هيكل هيرودس ولكنه فشل بسبب المقاومة العنيفة من رؤساء الكهنة الذين أثاروا الشعب .

في ربيع السنة ٣٣ ميلادية قُبل عيد الفصح قبض حراس الكهنة اليهود على السيد المسيح ، وحاكوه في المجمع برئاسة رئيس الكهنة (قيافا) وارتأوا أنه يستحق الموت وساقوه إلى بيلاطس الحاكم الروماني وبعد إلحاحهم وافق الحاكم على طلبهم .

بعد أربع سنوات دعي بيلاطس إلى روما بسبب شكاوى عديدة قدمت ضده من جانب سكان الولاية على زيادة الضرائب وتقييد ميزات رؤساء الكهنة وسلطاتهم ، فأقيل من منصبه ولم يلبث حتى توفي .

دعي فيتيلْيوس حاكم سوريا للقيام بمهمة زيارة القدس وتهدئة عناصرها الثائرة ، فقام بزيارتها سنة ٣٧ وتمكن من إرضاء الشعب بواسطة خفض الضريبة المقررة من جهة وإقالة رئيس الكهنة (قيافا) من وظيفته من جهة ثانية . ثم عين يوناثان بن أناس رئيساً للكهنة ونائباً عنه في الأنطونيا (السراي أو البلاط) وانصرف . لكنه عاد في السنة نفسها لزيارة المدينة فأقال يوناثان من منصبه وعين شقيقه (تيوفيلوس) مكانه . في آخر تلك السنة ورد خبر موت القيصر (تيباريوس) وتولى خليفته

(كاليكولا) رئاسة الامبراطورية فأثار ضجة كبيرة في الأوساط وكاد زمام الأمن يفلت من الأيدي لولا مباشرة الامبراطور الجديد وتعيينه (مارسيلوس) حاكماً على الولاية . وفي السنة التالية نظم الكهنة حملة قاسية على المسيحيين في المدينة بموافقة الحاكم الجديد فطردوهم منها وأعدم القديس استفانوس رجلاً بالحجارة .

سنة ٤٠ عين (بيترونيوس) حاكماً بديلاً في البلاط مع أمر امبراطوري بوجوب إقامة تمثال للامبراطور (كاليكولا) في ساحة الهيكل في القدس . لكن الأمر كان عاملاً على إثارة الشعب كرجل واحد ضده ، مما جعل السلطة الرومانية تؤجل تنفيذه .

سنة ٤١ تولى كلانديوس رئاسة الامبراطورية والتزم سياسة مرنة تجاه اليهود بإعادة أكريبا الذي كان في المنفى إلى الحكم في البلاط .

زيارة بولس الاولى :

تميزت سنة ٤٣ بأول زيارة قام بها القديس بولس للمدينة بعد اهتدائه وتميزت السنة التالية بمقتل القديس

جيمس على يد أكربيا ثم سجن القديس بطرس وفراره من الحبس في عيد الفصح . وفي السنة ذاتها مات أكربيا وعلى أثر وفاته قدم (كسيوس فاديوس) من روما كحاكم من البلاط و (لونجينوس) حاكماً عاماً على عموم سوريا . ابتدأت سنة ٤٥ بمجاعة شديدة تترتبت على سوء المحاصيل واستمرت سنتين ، لكن حضور ميلينا ملكة أديابين الغيورة على الدين اليهودي ، إلى المدينة ، خفف الكثير من وطأة الموت جوعاً لإقدامها على توزيع كميات من الخنطة على الفقراء .

سنة ٤٨ تعين فنتيديوس خلفاً لفاديوس ففوجيء بشعب كبير قام به جمهور المصلين في عيد الفصح احتجاجاً على انتظام صفوف الجند الروماني قرب جدران الهيكل اسفر عن مجزرة رهيبة في الأزقة الضيقة المؤدية إلى المكان المقدس قُتل خلالها نحو عشرين ألف رجل تحت أقدام الجنود . فدعي كرمانوس للمجيء إلى روما وعين فيلكس في مكانه بسبب شكوى بعث بها يوثانان رئيس الكهنة . غير أن الأمر لم يطل حتى دب الخلاف مجدداً بين الحاكم الجديد ورئيس الكهنة الذي

كان يتوقع أن يباشر الحاكم عمله بمعاقبة القتلة من الرومان لكنه لم يفعل شيئاً . ولما ضاق صدره أخذ يخطط سراً لإقناع القيصر بخلعه ، فبادر الحاكم باتخاذ مخطط جهنمي ينطوي على تنظيم جرائم قتل مسرحية ترتكبها عصابات مسلحة في الأزقة ضد من يبدي أي عداوة لليهود . فلما استفحل أمرها ووصلت أخبارها إلى روما حاول الحاكم استغلالها بأن نسبها إلى تأثير مظاهرات اليهود على الأغبياء من أفراد الشعب، فحظي بثقة القيصر من جديد واشتد ساعده حتى أوعز - على حد قول المؤرخ يوسيفوس وهو يهودي - بوجود اغتيال رئيس الكهنة فاغتالته العصابات في الهيكل وهو يقدم الذبيحة . لم يعقب الاغتيال أي تحقيق قضائي حازم ولم يقتص من القتلة فدبت الفوضى واختل جبل الأمن وزادت موجة الإجرام .

وكان الفقر والضيقة الاقتصادية .. فتحول مئات من عامة الشعب إلى لصوص وقطاع طرق للحصول على لقمة العيش حتى أن القرى النائية أخليت من السكان خوفاً من القتل . فلما قام حاكم سوريا العام (جستيس

كالوس) بزيارة للمدينة في فصح العام ٦٦ اجتمع حوله ألوف من ممثلي الشعب متوسلين تغيير الوضع ، لكن التوسلات لم تثمر . ثم خطر للوالي (فلورس) فرض ضريبة جديدة على دخل خزانة الهيكل تبلغ ١٧ وزنة باسم القيصر تسببت في موجة استنكار واسعة النطاق انتهت بنشوء حالة من التمرد أهابت بالحاكم إلى استنفار فرق الجيش ومداهمة المتمردين - الذين اعتصموا بأبنية الهيكل وضواحيه . لكنه قبل بدء المعركة جلس على كرسيه في قصره الملوكي تجاه برج داود ودعا رئيس الكهنة ومجلس الشعب للمثول بين يديه . فلما امتثلوا طلب منهم تسليم قادة المتمردين ، فرفضوا برغم موافقة رئيس الكهنة . عندئذ أمر الوالي الجند باقتحام المدينة العليا أي الأحياء الشمالية الغربية وطرد اليهود منها . فتم ذلك على وجه السرعة بعد قتل المئات من سكانها . أما جماهير المتمردين واللصوص فاعتصموا في الوادي الفاصل بين الأحياء العليا والأحياء الشرقية وضاحية الهيكل .

هكذا هبت الثورة بانقسام المدينة إلى معسكرين

وأخذ كل جانب يستعد للقضاء على خصمه بشتى الوسائل .
وحاول فلورس الوصول إلى معسكر كرسى الولاية
(البلاط) القريب من الهيكل حيث كانت توجد غرفة
رومانية ، فلم يتمكن بسبب تزايد عدد الثوار وانضمام
فئات عديدة من الفقراء والمثردين إلى جانب الثورة .
ففضل التريث وانسحب إلى قيصرية .

العصيان على روما

اشتد ساعد حزب الثورة المتمركز في الهيكل
وجواره بكثرة المؤيدين من داخل المدينة وخارجها
فازداد حماسة وتطرفاً بقيادة الشاب المتهور اليعازر بن
أنانياس ، حتى دعا إلى إلغاء فريضة التقدّمات السنوية
للقيصر وأهاب بالشعب إلى إبطال مفعول المعاهدة مع
السلطة الرومانية . وأبدى أكثر الشبان ولاسيما المتوسطو
الحال والفقراء فكرة الثورة الحقيقية على روما ، لكن
قسماً غير قليل من المتقدمين في السن والميسورين شكل
« جبهة سلام » هدفها تهدئة الحالة وتجنب الحرب . فانضم
أفرادها إلى حزب فلورس وأكربيا وألفوا قوة مشاة
من ٢٠ ألف رجل لإخماد الثورة .

انفتح باب الصراع على مصراعيه واتسعت شقة الخلاف وزال كل أمل بالشفاء . وتجمع أنصار جبهة السلم في الزاوية الشمالية الغربية المعروفة باسم « المدينة العليا » وتجمع أنصار حزب الثورة في الوسط وحول دائرة الهيكل أي شرقي المدينة . الفئة الأولى يقودها أكريبا والجنود الروماني ورئيس الكهنة والفئة الثانية يقودها اليغاز بن أنثياس وأعوانه .

وبعد قتال ضار استمر سبعة أيام استطاع الثوار احتلال الزاوية الغربية ومحاصرة الجنود الروماني ورئيس الكهنة في قلعة هيروس (الأمن العام) وفر أكريبا . تابع الثوار هجومهم الشرس بعد تضاعف أعدادهم فانسحب الجنود إلى الأبراج الملاصقة للسور، فلم تلبث أن سقطت هي الأخرى . وجرى اعتقال جميع المقاومين بالمئات ، وأعدم الجنود الروماني بالإجمال ، وقبض على رئيس الكهنة في قبو وحوكم وقتل مع رفاقه . أصبح الثائرون سادة المدينة .. لكن الأمر لم يطل حتى أشرف عليها الحاكم الروماني (سيدستوس) بجيش كبير وهبط عليها من جبل سكوبس وتمكن من اقتحام السور

والتحركات شمالي الهيكل (بيت حسوا) . فترجع اليهود واعتصموا بأبنية الهيكل والمدينة العليا . وبعثا حاول القائد التقدم طيلة نهار كامل من القتال العنيف ، ولما أقبل الليل سحب جيشه إلى الجبل . فاستغل اليهود فرصة تراجعهم ليلا ولحقوا بقواته وحاصروها ، وفي معركة ضارية استمرت ثلاثة أيام أنزلوا بالجيش الروماني هزيمة كبيرة .

لا مفر من الحرب :

أصبحت الحرب الشاملة مع روما أمراً لا مفر منه ، وبات معروفاً أن قضية محاصرة القدس من جانب الرومان قضية وقت لا أكثر ، كان ذلك في أول تشرين الثاني سنة ٦٦ . تولى رئاسة الكهنة والقيادة العليا أنانياس يعاونه قائدان بارعان ذاع صيتها في ميدان الثورة على نطاق واسع ، هما يوحنا بن لاوي وسيمون برجوراس .

دعي أفراد الشعب من مدنيين وعسكريين إلى عقد جمعية عمومية تقرر ما ينبغي عمله للمستقبل ، فتبين

وجوب اتباع خطة من اثنتين - واحدة تريد تجنب الحرب والمفاوضة على أساس الحفاظ على عنصرية يهودية تحت الحماية الرومانية ، والأخرى تفضل الفناء ولا الخضوع لسيطرة روما بعد الفوز الذي تم إحرازه . وجرى الاستفتاء ، فأيدت الأكثرية الساحقة الرأي الثاني واعتقال من يعارضه . وبدأ الاستعداد للجولة الثانية بحشد الأسلحة ومواد الغذاء ، وتقوية الحصون والأبراج ، ودعم السور الخارجي بسور آخر داخلي .

من جهة ثانية دعا القيصر الروماني إلى حشد كبير مزود بأحسن المعدات الحربية بقيادة وزير الحرب تيطس للقضاء على الفتنة .

بدأ تيطس هجومه من الشمال بتمهيد الأرض الواقعة بين الجبل وسور المدينة بإزالة الحواجز والحدائق والجدران على مسافة نحو ميل . واستغرق ذلك أربعة أيام أحاط الجيش بعدها بالسور من الزاوية الشمالية الغربية إلى قلعة هيرودس وباب يافا . وكانت الخطوة الثانية محاولة اقتحام السور الأول من الوسط حيث الأرض تكاد تكون على منسوب واحد بالنسبة إلى علو

السور والأبراج . أما الدفاع من الداخل فكان من جانب قوات سيمون . في هذه البقعة شيد الرومان متاريس متصلة بسدود تربطها بالسور وأخذوا يقذفون أسفله بالمنجنيق حتى تمكن أحدها من إحداث ثغرة فيه . هنا بنى الرومان ثلاثة أبراج ارتفاع الواحد منها خمسة وسبعون قدماً فتجاوز علوها علو السور . في الوقت نفسه كانت القوة المرابطة على جبل الزيتون تطلق المشاعل الطائرة (صواريخ) بواسطة المنجنيق بقصد إحداث الحرائق والدمار في الأبنية والأكواخ المحيطة بالهيكل فأصاب أهدافاً عديدة .

رأى اليهود ثغرة السور الشمالي تتسع فتيقنوا من قرب انهياره وانسحبوا من مراكزهم معتصمين بأبراج وحصون السور الثاني كما فعلوا وقت حصار نبوخذنصر . كان ذلك في ١٥ نيسان سنة ٧٠م يوم دخل الجيش المدينة من الثغرة بكثافة وأخذ يهاجم السور الثاني بالطريقة ذاتها حتى نجح في فتح ممر ضيق فيه ، نفذ الجنود منه نحو وسط المدينة الفاصل بين المدينة العليا والهيكل . لكن المهاجمين فوجئوا بمقاومة ضارية من جانب العصابات

اليهودية التي كانت كامنة في مخابىء الأزقة الضيقة الكثيرة المنعطفات والمنافذ الخفية . كما تكبدوا خسائر فادحة لم يكن تيطس يتوقع حصولها . ومع ذلك دفع بفرق عدة إلى الأمام واحتل المنطقة الواقعة شمال الهيكل وقلعة انطونيا (البلاط) . وأخذ جنوده يستعدون للجولة التالية لاحتلال هذين الموقعين . وفي خلال ثلاثة أسابيع تمكنوا من إقامة قاعدتين للهجوم ، لكن القاعدتين تهدمتا عند بدء المعركة بواسطة ألغام حفرت تحتها من الجانب المقابل وأشعلت النار في جوفها بقوة أدت إلى انخساف الأرض .

وأصبح ثلثا المدينة في يد تيطس . لكن بدا أن أكثر من نصف المعركة ما زال ماثلا لأن المدينة العليا . مع داود وأبراجها العالية ، تقوم في الوقت ذاته على أعلى بقعة وتشرف على كل أجزاء المدينة . هناك تجمعت كل قوات اليهود بقيادة سمعان ويوحنا . وتجاه الزاوية الشمالية – الغربية تركزت كل قوات تيطس ومعداته الثقيلة . وفي ١١ أيلول بدأ الهجوم على إضعاف نقطة وجدها القائد مناسبة . في اليوم الثاني نجح الرومان في

إحداث ثقب فيه أتاح لهم الولوج بكثرة إلى مهاجمة الأبراج. فلما شاهد القائدان اليهوديان الجند يدخل أركاننا إلى الفرار محاولين الإفلات من طوق الحصار الروماني فلم يتمكننا . وأخيراً استسلما مع سائر المحاربين وبقية الشعب .

الافناء :

أخذ الجيش الروماني بعد انتصاره في تصفية أفراد الشعب والمحاربين والمدينة بشكل عام ، فالذكور من سن ١٧ فما فوق قُتلوا جميعاً ودفنوا في الخنادق التي تطلبت بها حاجات الحرب . والنساء والأولاد جرى بيعهم علناً في ساحات عامة لمن يريد. كبار القادة تقرر نقلهم إلى روما لعرضهم على الشعب في ساحات الإعدام. الهيكل والقصور والأبنية والمتاجر والشوارع صدر الأمر بوجوب هدمها وإحراقها بصورة لا تبقى لها أثرٌ على وجه الأرض ، لم يبق هنالك سوى الأبراج الثلاثة والانطونيا التي جرى الحفاظ عليها لتكون مأوى للحامية الرومانية . أما بقية المكان فظلل خالياً خلويًا من أي أثر معالم الحياة مدة

خمسین سنة بعد تیطس . وقال المؤرخ یوسیفوس ان من كان یلقى نظرة على أرض القدس بعد هدمها لم یکن یصدق أنها كانت فیما مضى مكانا مسكونا .

وكان لهزيمة اليهود وزوال العنصرية اليهودية عن القدس وعموم فلسطين إشارة بالغة للمسیحیین الذین تذکروا بها کلام المعلم فہبوا للعمل على قدم وساق . کتبوا الأناجیل الأربعة والرسائل وسفر الرؤیا والأعمال بكل حرية . وكانوا قبل ذلك ممنوعین من دخول القدس وبقية المدن اليهودية . ثم انصرفوا إلى التبشیر بما تعلموه (کتب الانجیل ما بین السنة ۷۰ - ۱۱۰ م) .

محاولة أخرى :

مرّ خمسون سنة على هدم المدينة بواسطة تیطس من دون أي ذکر لها فی التاريخ . لكن سنة ۱۳۲ ميلادية فی عهد الامبراطور (هدریان) تمكن یهود سوريا وفلسطين من تشکیل تنظيم عسكري سري برئاسة (کوشیبا) وحامل سلاحه (أکیبا) لم یلبث حتی جمع معظم القادرین على حمل السلاح على أطلال اورشليم وبدأ

التمردون ببناء السور والهيكل بعدما تغلبوا على الحامية الرومانية المحيطة بالمكان . تعجب (هدران) من سرعة تنظيم المؤامرة ومن نجاحها المفاجيء فاستدعى أقدر قادته (يوليوس سيفيروس) من الجزر البريطانية وأمره بالتوجه إلى الشرق لإخماد الثورة . بعد سنتين من حرب عصابات مفضية فوق وحول خرائب اورشليم تمكن الرومان من سحق الثورة التي كلفت الجانبين خسائر جسيمة في الارواح بلغت مئات الألوف . وقرر القيصر إعادة بناء المدينة باسم جديد ، على أن تكون مستعمرة رومانية يحظر على اليهود دخولها . وأقام في أماكنها المقدسة معابد لـ - جوبيتر وعشتاروت . ولم يسمح لليهود بدخول المدينة إلا في اواسط القرن الرابع للميلاد ، وذلك مرة واحدة في السنة في عيد الفصح .

اورشليم المسيحية :

قبل بداية القرن الرابع كانت المدينة أصبحت بلدة مسيحية يحكمها الأساقفة ويتوافد الحجاج إليها من الاقطار المجاورة لزيارة أماكنها المقدسة . وفي السنة ٣٢٦

زارتها الامبراطورة (القديسة) هيلانة و بنت الكنيسة المعروفة بكنيسة القيامة وكنيسة المهد في بيت لحم وكنائس أخرى . ثم أتبعها ابنها الامبراطور قسطنطين فأزال المعابد الوثنية ، وأقام مكانها كنائس في عدة أماكن من المدينة . في المئة سنة التالية تضاعف عدد الحجاج إلى المدينة وتكاثر أصحاب النظريات اللاهوتية المتناقضة حيال مواضيع دينية إلى عقد المؤتمر الكنيسي الأورشليمي (٥٣٦) مثبتاً مقررات مؤتمر القسطنطينية . وقرر المؤتمر جعل أبرشية اورشليم مركزاً لبطريركية . سنة ٦١٤ ميلادية زحف (كسرى الثاني) ملك فارس على رأس جيش كثيف على انطاكية ودمشق واورشليم فاحتل المدن الثلاث طارداً القوات الرومية والاساقفة والرهبان . وقد انضم إلى الجيش الفارسي كثيرون من يهود الساحل من انطاكية إلى الجليل وساعدوا الفرس في هدم الكنائس وإحراق كنيسة القيامة وذبح المئات من الرهبان وسكان الأديرة . لم يتركوا أثراً لشيء ذي قيمة في قصور المدينة وأماكنها المقدسة . لكن قوات الروم عادت سنة ٦٢٨ فهاجمت المغيرين

من الشمال ومن الجنوب بقيادة (هرقيوليس) وتمكنت من استعادة المدن الثلاث . وأخذ القادة والرهبان في إصلاح ما تيسر لهم في الكنائس والأماكن المقدسة .
على ان عهد الروم في اورشليم كان قد قارب النهاية بالزحف العربي الذي أطلّ على الشرق من الجنوب . احتلّ العرب أولاً دمشق وبرّ الشام بقيادة أبي عبيدة ، ووصلت أخبار قسوته على الرومان في الشام إلى آذان المسيحيين في اورشليم ، فرفض حاكمها البطريرك (سفرونيوس) تسليم المدينة له ، وطلب حضور الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه فيفتح له الأبواب. فحضر الخليفة عمر بنفسه ٦٣٧ واستقبل البطريرك على باب المدينة ، وأملى عليه شروط الاستسلام فإذا بها تتضمن من الرقة وروح المحبة ما لم يرو للتاريخ مثيلاً له في فتوحات الحرب . وطلب من البطريرك أن يرشده إلى بقعة مقدسة يبني عليها المسجد فدلّه على صخرة كبيرة في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى ومنح المسيحيين حرية الصلاة والعبادة في كنائسهم وركع هو على درج كنيسة القيامة في وقت الصلاة وصى .

في عهد جمهورية شارلمان الغربية الفرنسية أرسل
الامبراطور إلى الخليفة هارون الرشيد تبرعات وهدايا
كي يوزعها على سكان العاصمة المقدسة وقد جابو الرشيد
بإيفاد بعثة حملت هدايا أثن منها ومفاتيح كنيسة القيامة
والقبر المقدس* .

بعد سقوط العباسيين وانتقال الخلافة إلى الفاطميين
في القاهرة بلغ اضطهاد المسيحيين في القدس (اورشليم)
حده الأقصى لا سيما في عهد الخليفة الفاطمي (الحاكم)
الذي أمر بهدم كنيسة القيامة (٩٦٩ - ٩٩٦) ولم تب
ثانية حتى سنة (١٠٤٨) .

في القرن الحادي عشر كانت القدس مورداً خصباً
للسياحة لكنها لم تلبث حتى سقطت بأيدي السلاجقة
والتركان الذين اشتهر منهم (الغازي وسقمان) . بالغ
الحكام في ابتزاز الحجاج الوافدين من الغرب لزيارة
المدينة إلى حدٍ أثار عليهم حكام أوروبا المسيحيين ،
وكان عاملاً مباشراً لقيام الحروب الصليبية .

في صيف سنة ١٠٩٩ أحاطت جيوش الصليبيين
المؤلفة من انكليز وألمان وفرنسيين بمدينة القدس (نحو

* هذا ما ادعته الحروب الصليبية ، ولم يذكره المؤرخون العرب .

أربعين ألف مقاتل) وبعد نحو شهر احتلتها وعينت أحد القادة (كودفري) ملكاً عليها . شيد الصليبيون عدداً من الكنائس ، والأبنية المحصنة ، ودور السياحة في عدة أماكن أثرية في القدس ، وبيت لحم ، وعلى جبل الزيتون . في سنة ١١٨٧ استعاد صلاح الدين الأيوبي المدينة وعامل الصليبيين الأسرى بكثير من الرأفة . وسنة ١٢١٩ وضعت تسوية من جانب الامبراطور فريديريك الثاني والسلطان الكامل بشأن مستقبل المدينة قضت بهدم الأبراج والتحصينات والسور وإطلاق الحرية للمسيحيين والحجاج بالتجول والسكن . ثم في ١٢٤٤ تعرضت لغزوة تترية قضت على عدد كبير من الرهبان ورجال الدين وتهدمت كنيسة القيامة ونهبت قصور الأثرياء . بعد ذلك انتقلت السيادة عليها ليد سلاطين مصر . سنة ١٢٧٧ ألحقت إسمياً بمملكة صقلية إلى أن استولى على المنطقة كلها ١٥١٧ السلطان العثماني سليم الأول ، وخلفه السلطان سليمان . إلى هذين يرجع الفضل في وجود السور الحالي الذي بني أصلاً لحماية المدينة وأماكنها المقدسة من غزوات المعتدين في نحو السنة ١٥٤٢ .

في مدة الحكم العثماني الذي استمرّ نحو أربعمئة سنة لم تقع حوادث هلمة في القدس، ولم تطرأ عليها تغييرات، ذلك أن السلطنة كانت تحرص على مسايرة الدول الغربية من جهة ، وحماية الأماكن المقدسة من جهة أخرى ، لأجل سلامة الحجاج والزوار الأجانب . سوى أنه سنة ١٨٣٣ احتلتها قوات محمد علي الكبير (باشا مصر) . وسنة ١٨٣٤ سيطر عليها جماعة (الفلاحين) ، وسنة ١٨٤٠ على أثر ضرب مدينة عكا بالمدفعية الفرنسية احتل العثمانيون القدس من جديد .

شهادة التاريخ :

النبذة التي ورد ذكرها عن تاريخ القدس منذ ظهورها تبين للقارىء كيف أن المدينة كانت على مرّ الأجيال وتعاقب الأمم محور النشاط العالمي سياسياً واقتصادياً ، وهوذا التاريخ يعيد نفسه اليوم .

في ختام القرن التاسع عشر وبداية القرن الحالي اتضح أن اليهودية العالمية تملك القسم الأوفر من الراسمیل في أوروبا التي كانت تقبض على زمام السلطة

العالمية . ومتى تأمنت السيطرة الاقتصادية في مجتمع عامر يصبح النفوذ السياسي من تحصيل الحاصل .
إن السبب الذي من أجله نشبت الحرب العالمية الأولى ، يبدو اليوم تافهاً جداً إذا قيس بما سفك فيها من دماء أو مات بسببها من الجوع والمرض .
ويبدو واضحاً أن السبب المذكور كان عذراً لتنفيذ مخطط سياسي استعماري يهودي يتوخى بالدرجة الأولى اقتسام تركة (الرجل المريض) أي الدولة العثمانية ، وفي مقدمتها الأرض المقدسة أي فلسطين .
وكانت أحلام الصهيونية والاستعمار مهيمنة على السياسيين في أوروبا فافتعلت - أو انها استغلّت - حادثاً صيبانياً وقع في صربيا وانبرى كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا والنمسا وتركيا إلى إعلان الحرب ..
ما كادت الحرب تندلع حتى بادر (لويد جورج) رئيس الوزراء البريطاني إلى إعلان وعد وزير خارجيته (بلفور) لليهود بإنشاء دولة يهودية في فلسطين حالما يتم النصر للحلفاء .
كان ذلك إشارة بدء العمل ليهود ألمانيا ذوي النفوذ

الماديّ الواسع في المؤسسات الاقتصادية الألمانية لشلّ أجهزة الدولة وتضييق سبل المعيشة وإثارة القلق في قلب الأمة حتى اضطرت أخيراً لطلب شروط الاستسلام في حين أن الجيش الألماني كان لا يزال يحتل أراضي فرنسية. لم تتطلّ المؤامرة على كثيرين من ضباط وقادة الشعب الألماني وفي مقدمتهم هتلر ورفاقه ممن أسسوا الحزب النازي الذي اتخذ شعاره الأول اضطهاد الشعب اليهودي. انتهت الحرب العالمية الأولى وتم اقتسام الغنائم بين الحلفاء بموجب معاهدة (فرساي) المشهورة وابتنتها (عصبة الأمم) التي كانت مهمتها المحافظة على غنائم المنتصرين بقدر المستطاع .

اقتسمت كل من فرنسا وبريطانيا منطقة الشرق وسط وقسمتها إلى دول وضعت تحت الانتداب. وطبعاً وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني . وكان بديهيّاً ن يعين عليها حاكم بريطاني (يهودي) هو هربرت سموثيل ..

فكان أول عمل قام به المندوب السامي البريطاني على

فلسطين فتح باب هجرة اليهود (إلى فلسطين) على
مصرعيه ..

بتسلم الانكليز سلطة الانتداب على فلسطين في أول
العشرينات ابتدأ نضال الشعب العربي الفلسطيني في
سبيل أرضه ووجوده . كنت في ذلك الحين تلميذ جامعة
وكنت أقرأ قصص التضيق والتأمر والتعامل على السكان
العرب في الصحف الفلسطينية - (الجامعة العربية) -
التي كانت تصدر في القدس ، و (فلسطين) اليافوية .

بدأ اليهود تجمعهم العنصري بتأسيس (تل أبيب)
بين حيفا ويافا على أن تكون نقطة الانطلاق للمستقبل .
خمس عشرة سنة مرت والعرب يكافحون لمنع الهجرة
ويبيع الأراضي ونيل الحكم الذاتي . لكن النية المبيتة
كانت تعرقل جميع هذه المطالب حتى لم يبق من سبيل
أمام أكثرية العرب سوى الأخذ بعصيان مدني وثورة
أهلية ضد إقامة المهاجرين اليهود الذين تفاقم أمرهم بعد
تسلم هتلر زمام السلطة في ألمانيا .

كان هتلر قد توفّق باستمالة أكثرية الشعب الألماني إلى
مبادئ حزبه النازي ، فأحرز بانتخابات حرة أكثرية

برلمانية رفعتة إلى سدة الرئاسة . وكان بديها أن يتبدىء باضطهاد اليهود الألمان ومنعهم من ممارسة أي نشاط اقتصادي ونبذهم من المجتمع الألماني . فهرب قسم كبير منهم إلى خارج ألمانيا الهتلرية وشرع في تحريك المنظمات اليهودية العالمية في سائر أوربا والولايات المتحدة (حيث يتمتع اليهود بميزات عالية) من أجل تطويق ألمانيا الهتلرية وتصفية النازية . وهكذا زجت الولايات المتحدة نفسها في حرب أوربية لا ناقة لها فيها ولا جمل .

عندما تاكد فوز الحلفاء ، أخذت أجهزة اليهودية العالمية تضغط على الحكومة البريطانية بصفتها دولة منتدبة على فلسطين ، كي تنفذ ما تعهدت به في وعد بلفور . فتخوف تشرشل من عاقبة العمل وطلع (بكتاب أبيض) حاول فيه أن يتملص من وعد بلفور بالقول : أن الحكومة البريطانية كانت قد تعهدت لليهود بكيان يهودي (في فلسطين) وأن التعهد لا يشمل (كل) فلسطين - وهكذا تكون بريطانيا قد وفت بوعدا لهم بتسهيل تجمعهم وسكنهم في (تل أبيب وضواحيها) !
كان قد توهم أن مركزه المتين في قلب الأمة

كلنتنصر الأول في الحرب العالمية الثانية يؤهله للوقوف
بوجه اليهودية العالمية، لكن ظنه خاب وأصيب بنكسة
أذهلت العالم عندما فشل بانتخابات تلك السنة وفاز عليه
(الماجور اتلي) زعيم العمال الذي كان تشرشل يضعه في
جيبه . كان ذلك دليلاً على النفوذ اليهودي الكاسح الذي
مارسه الصهيونيون في بريطانيا بسبب الكتاب الأبيض .
وبفشل المحافظين في انتخابات ١٩٤٥ طويت سيرة
الكتاب الأبيض وسارت حكومة اتلي العالمية في سياسة
معاكسة لمفهومه .

في الوقت نفسه كانت اليهودية العالمية قد نقلت
قواعدها الرئيسية من أوروبا إلى الولايات المتحدة وباتت
الحكومة الأميركية و (الكونغرس) آلة طيعة تسيّرهما
وسائل الإعلام الصهيونية إلى جانب النفوذ الرأسمالي
والمصالح الانتخابية .

في فلسطين كان الصراع العربي - اليهودي قد بلغ
حدّه الأقصى حتى صار من المتعذر تنفيذ حكم محايد
يتمكن من ضبط الأمن وإرضاء الجانبين ، فبادرت

الحكومة البريطانية إلى إعلان رغبتها في الجلاء عن البلاد في موعد عيَّنته .

أعلنت جامعة الدول العربية عزمها على احتلال فلسطين بعد ما زوّدت اليهود بقسم وافر من معدات الجيش البريطاني . فأعلنوا (دولة إسرائيل) مبتدئين من مثلث تل أبيب . ووقع سباق بين كل من حكومة الولايات المتحدة من جهة والاتحاد السوفياتي واوروبا من جهة ثانية (نحو الاعتراف) بإسرائيل فكان الفوز للحكومة (ترومن) ...

كان بديهيّاً فوز اليهود بكيان سياسيّ قويّ يتخذ كمنقطة انطلاق . فرحل أكثر سكان الساحل الفلسطيني إلى الدول المجاورة على أمل العودة بعد اسبوعين على الأكثر . وبقي اللاجئون الفلسطينيون في ملاجئهم إلى اليوم . وبعد بضع سنوات قامت إسرائيل بالاتفاق مع بريطانيا على تدبير مؤامرة بورسعيد وتمكنت من ضمّ النقب ومساحات جديدة إلى حدودها .

في حرب الستة أيام (حزيران ١٩٦٧) استطاعت إسرائيل التغلب على الجيوش العربية بتفوق جويّ

كاسح من الطائرات والطيّارين عن طريق القوة الجوية
الأميركية الضاربة في فيتنام - وبذلك تمكنت من احتلال
الضفة الغربية كلها بما فيها القدس والجولان ، ثم قطاع
غزة وسيناء حتى الضفة الغربية لقناة السويس .

أدان مجلس الأمن إسرائيل وأقرت هيئة الأمم
وجوب انسحابها من جميع الأراضي العربية المحتلة ، لكن
القرار لم ينفذ ولم يكن له أي أثر على ما وقع بعده من
حوادث مفرجة . رغم جميع الاحتجاجات والمطالبات
المتكررة من جانب كل الدول الأعضاء في المنظمة الدولية
بقي كل شيء على حاله . لماذا تعقد الجلسات وتناقش
المواضيع وتتخذ القرارات ما دامت ستظل حبراً على
ورق ؟ لماذا تتكبّد الدول أعباء نفقات الوفود المرسلّة
لحضور جلسات الهيئة الدولية ، وتلقى الخطب البليغة
والبيانات الفصيحة دون نتيجة ملموسة ؟ كيف يصدر
حكم لا يعقبه معاملة إجراء ؟ إنها هيئات عالمية
يؤلّفها كبار المشرّعين الدوليين - تقوم بتمثيلات
ومسرحيات ينجل من القيام بتمثيلها صغار الأولاد .

أقوال الأنبياء في مصير القدس

مصير القدس يحدد مصير العالم :

نردّد هنا ما ذكرناه سابقاً أن القدس تمثل حجر الزاوية في الغاية المقصودة من وجود الانسان على الأرض وأنها كلما تعمّقنا في دراسة رموز ووقائع التوراة والانجيل وسائر الكتب المقدسة ، وكلما تصفّحنا أقوال الأنبياء فيما يتعلق بالمستقبل - تصبح هذه الحقيقة أكثر وضوحاً في أذهاننا . تأثيرها الروحي على الأنفس بصفتها مهبط الوحي والايان جعل النشاط العالمي يدور حولها ويرتبط بها بشكل ما . ولا يستغربن أحد في هذه الحالة أن يحدد مصيرها مصير العالم .

الأمل بسميًا - المسيح المرتقب (الملك) :

الأمل بسميًا (بمنقذ أو بمخلص) يعدّ من أهم مواضيع العهد القديم من التوراة، وقد شغل اهتمام الأنبياء جميعهم وكان حديث الناس في الهياكل والمجتمعات مدة ألف وخمسة سنة تقريباً . وردت العبادة لأول مرة على لسان موسى كليم الله إذ قال ان الله يرسل مخلصاً من عنده عندما يحين الوقت المناسب لذلك .

فسّر اليهود كلمة منقذ بمعنى ماديّ زمنيّ - أي أن الله سيرسل المخلص والمنقذ عندما يتعرض الشعب اليهودي لدرجة قصوى من التشرد والاضطهاد ، ويصبحون بأمس الحاجة إلى مخلص . بعد موسى بنحو ألف سنة ظهر (أشعيا) أحد أبرز أنبياء التوراة وأوضح بكل جلاء أن المسيح الموعود به يأتي لينقذ الخطاة من الناس ويمنحهم الحياة الأبدية . وييسر من السفر المعروف باسمه أن للكلمة معنى روحياً لازمياً . فأثار غيظ الكهنة والعنصرين من اليهود وما لبثوا حتى قتلوه . ثم جاء (دانيال) وهو من أبرز أنبياء السبي فأيد أقوال أشعيا وعين زمن مجيء المسيح بسبعة

أسابيع أيام سنين (٤٩٠ سنة) بعد رجوع اليهود من
سبي بابل .

جاء المسيح في الوقت المعين وقام بتأدية رسالته على
أكمل وجه ولكنه عبثاً حاول إقناع الكهنة والرؤساء
اليهود أنه هو المسيح الموحى به ، وأن هدف مجيئه إنقاذ
الناس من حكم الموت الأبدي والتبشير بحياة أبدية للتائبين
والمؤمنين . كان العهد الذي ظهر فيه المسيح عهد بلوغ
الأمم بمجيء المسيح حده الأقصى من الانتشار بين جميع
طبقات الشعب .. كان حديث عامة الشعب من فلاحين
وعمال وصيادين وأجراء . ذلك لأن الشعب اليهودي
تعرض تحت نير الحكم اليوناني ثم الروماني لمرحلة من
القسوة والاضطهاد والقتل والتعذيب لم يتعرض لمثلها في
تاريخ ويلاته . فامسى بامسّ حاجة إلى منقذ . حتى أن
تلاميذ المسيح كان يخامر تفكيرهم شيء من الظن بصحة
المفهوم الغنصري اليهودي بشأن (المسيح) وكانوا يسألونه
في بعض المناسبات قائلين : (هل اليوم تردّ الملك
لإسرائيل) ؟ ..

انطفاء سراج الأمل :

بعد ما هدم الرومان (تيطس - ٧٠ م .) مدينة القدس عن آخرها وقتل جميع سكانها من الذكور وبيع النساء والأولاد وشرّد سكان المناطق المجاورة لها - لم يبق لليهود أي وجود جماعي في أي مكان من الشرق الأوسط . وكان الذين نفاهم الآشوريون والكلدانيون وغيرهم قبل ذلك التاريخ قد رحلوا شمالاً عبر تركيا والبلقان ، ومن هنالك تفرّقوا على المقاطعات التي كانت تشكل جسم الامبراطورية الرومانية وصارت فيما بعد دول أوروبا من الشرق إلى الغرب . بذلك انطفأ سراج الأمل بمسياً من القلوب وانصرف اليهود إلى الامور المالية والتجارية بكل جدّ ومثابرة مئات السنين . احتفظ اليهود بطابعهم العنصري الخاص رغم انخراطهم بمجتمعات الدول الغربية وجنسياتها المتعددة ، وكانوا بكل براعة يتجنبون الاتزلاق في تيارات النزاع على السلطة ، والسعي وراء الشهرة ، وحب الظهور . وبسبب ما كانوا قد اكتسبوا من خبرة مدنيات الشرق استطاعوا إحراز تفوق كبير على سائر السكان في مجتمعات الغرب ، لا سيما في مجالات الاقتصاد

واحتكار وسائل الربح . مرّ نحو ألف وثمانئة سنة على هذا الوضع فيما يتعلق بهم ، فأصبح القسم الأكبر من رؤوس الأموال ، في الدول الأوروبية ، في أيدي يهودية . في أواخر القرن التاسع عشر خطر طارئ على أذهان فئة من كبار الاقتصاديين اليهود يحثهم على العمل من أجل إعادة الكيان العنصري اليهودي إلى الوطن الذي كان يشغله في زمن التوراة . وهكذا نبتت فكرة (المسيا) من جديد في عقول المتدينين منهم ورجع الحلم بعودة مجد سليمان إلى سابق عزه ، وتكونت نواة الصهيونية ، وأخذت الأموال تتدفق على المروجين لها من جميع الجهات .

ماذا تعني الصهيونية :

تعني عودة مجد إسرائيل الغابر الذي بدأ بعهد الملك داود باني أورشليم والذي بلغ ذروته في عهد ابنه سليمان مروراً بوعد موسى القائل ان الله يرسل في آخر الأيام منقداً كبيراً يخلص شعبه .

من هو المقصود بعبارة (شعبه) ؟

شعب الله هو الشعب الذي يؤمن به ويعبده . في العهد القديم أي في الوقت الذي تزلت فيه هذه الآيات كان الشعب اليهودي هو الشعب الوحيد المؤمن بالله . وبديهي أن يفهم منها أنه الشعب المقصود . وقد بقي الشعب (المؤمن الوحيد) إلى أن ظهر سيدنا عيسى (المسيح) وأوضح للشعب أنه هو المنتظر المنتظر الذي يأتي ليخلص المؤمنين بالله من الموت الأبدي . ولما أصروا على رفضه أعلن أنه جاء إلى خاصته (أي المؤمنين) وأن خاصته لم تقبله . وأثبتت في قوله (يأتون من المشارق والمغرب يتكثون في حضن إبراهيم وأنتم (أي اليهود) تطرحون خارجاً - أثبت أن ليس فيما ترمي إليه آيات الله أي مفهوم عنصري .. لكن الصهيونية تتمسك بعنصرية الموضوع وبأن اليهود كانوا شعب الله الخاص وسوف يبقون كذلك .

أصل الكلمة :

صهيون اسم لقلعة يوسية (كنعانية) جبارة كانت مبنية على أعلى تلة من تلال القدس ، وكانت من

المناعة بحيث أن شهرتها بلغت مسامع ملوك جميع مدن
وإمارات الشرق . حاصرها رجال الملك داود في آخر
محاولة سنة ١٠٢٦ ق. م. واستماتوا حتى تمكنوا من
احتلالها وبذلك تم للملك ما كان يحلم به وجعل (اورشليم)
عاصمة مملكته . أصبح القسم الذي يحيط بالقلعة من ذلك
الحين رمزاً لعظمة داود وسموه وصارت (صهيون)
شعار المجد والجلال والهيبة لمملكته من بعده، وقد تغنى
بذكرها الأنبياء والمؤرخون إلى عدة قرون .

ثم ان وقوع قلعة صهيون في مكان مقدس عند الله،
وفي مكان كتبت فيه التوراة والانجيل جعل للكلمة
معنى روحياً ساحراً كان له على مر التاريخ عبرة في
أذهان المؤمنين من جميع الطوائف . ففي فصول التوراة
والانجيل وفي المزامير والترانيم الكنسية ، وفي الكثير من
صفحات الكتب التاريخية تتردد كلمة صهيون عند كل
مناسبة .

هذه الأسباب أهابت بالعنصريين اليهود إلى اتخاذ
كلمة (صهيون - والصهيونية) شعاراً لحركتهم في
محاولة بعث مجد إسرائيل ومملكة داود وسليمان في أرض

فلسطين، متذرعين بما لها من تأثير روحي في أنفس الناس في الأوساط الدينية ، لاسيما في الغرب. وذلك على أساس أن داود رفع بيرق مملكته - نجمة داود - أولاً فوق قلعة صهيون - برج داود - وأنه مؤلف المزامير وقسم وافر من التوراة - مروراً بانتقاض الحلم اليهودي القديم المعروف بـ (الأمل بمسيا) المنقذ الذي توهم الأقدمون منهم انه سيعيد الملك لإسرائيل ...

ماذا تقول الكتب المقدسة :

المدينة المقدسة التي أنجبت التوراة والانجيل هل تباخل عليها الأنبياء بكلمات تشير إلى مستقبلها البعيد - إلى مصيرها ؟ حاشا .

لم يترك الأنبياء مناسبة طارئة إلا واستخدموها للدلالة على ما سيطراً على الأرض المقدسة في آخر الأيام من وقائع تقرر مجد ذاتها مصير العالم كله .

ترتبط النبوءات المتعلقة بمصير العالم في المستقبل البعيد ارتباطاً وثيقاً بما يطرأ على القدس (أورشليم) ، ومن هنا تسير في اتجاهين - قسم يصف الطوارئ

السياسية والعنصرية والجغرافية ، وقسم يورد تواريخ
حسابية رقمية مبنية على حوادث ووقائع تاريخية معينة .
وتبدو التنبؤات لأول وهلة غامضة وصعبة وقابلة لعدة
تفاسير . وقد أدت فعلا لظهور تناقضات وتفسيرات لم
تكن صحيحة ، لكن الأمر لا يثبت كونها غير مقدسة
وغير موصى بها - وبالتالي لا يميز لنا أن نطرحها
خارجاً - لاسيما وأن الذين كتبوها قالوا انها ستبقى غامضة
زمنًا طويلا وأنها تتوضح أخيراً في أوقاتها لأن المعرفة
تزداد .

الطوارىء السياسية :

في الانجيل يتحدث السيد المسيح كيف أنه سوف
يجيء في اليوم الآخر مع جميع الأنبياء والقديسين على
سحاب السماء بقوة ومجد كثير، وفيما هو جالس على جبل
الزيتون سأل تلاميذه على انفراد عن وقت وعلامات
بجيئه وانقضاء العالم ؟ فقال : إن الوقت يتسم بقيام أمة
على أمة ونظرية على نظرية ومشاكل غير قابلة للحل
وفوضى اقتصادية عالمية وحيرة وقلق على المستقبل
وضيق لم يكن مثله ضيق ، وأخيراً تقوم رجّة الخراب

في المكان المقدس - مكان الهيكل والمسجد الأقصى - (ومتى)
رأيتهم جيوش العالم تحيط بأورشليم فاعلموا أن زمن
افتقادها قد أتى .. من كان على سطح بيته فلا ينزل ومن
كان في الحقل فلا يرجع ..) .

في مكان آخر من الإنجيل توضيح أبعد من هذا عن
ظروف وأحكام وقوع الحوادث الأخيرة ، لأن التوضيح
يأتي جواباً على أسئلة متعددة يوجهها المؤمنون :

(من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه ..
لا يخذعنكم أحد على طريقة ما ، لأنه لا يأتي ما لم يأت
الارتداد أولاً .. ويستعلن إنسان الخطيئة ابن الهلاك
المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً حتى إنه يجلس في
هيكل الله مظهراً نفسه أنه إله ... ٢ تس ٢) .

من هو المقاوم والمرتفع على كل ما يختص بالمسيح ،
الذي يجلس في الهيكل قائلاً انه المسيح ؟

إنه المسيح الدجال - الذي يجلب ظهوره الخراب
والدمار على المكان المقدس .

حركة الارتداد :

ما المقصود بحركة الارتداد؟ ماذا تعني كلمة ارتداد؟
كلمة ارتداد تعني الرجوع إلى موقع سابق أو عقيدة
قديمة . ولما كانت واردة في موضوع ديني مرتبط بالتوراة
ومجيء المسيح والقيامة وعلامات الأيام الأخيرة ، فلا شك
في أنها تعني عودة شعب التوراة إلى عقيدة (الأمل بمسيّا)
المنقذ الذي يعيد لليهود مجد داود وسليمان – فحركة
الارتداد هي الصهيونية العالمية .

كان الأمل بمنقذ جبار « مسيّا » قد غاب عن ذهن
الشعب اليهودي من حرب تيطس ٧٠ م. حتى أواخر
القرن الثامن عشر، لكن تعاضم النفوذ اليهودي في أوروبا
والعالم بعث هذا الحلم في رؤوس جماعة منهم من جديد
لكي يتم ما قيل عنه في الانجيل والرسائل .

وما دام أن الواقع الذي أشارت إليه الرموز
والتنبؤات بخصوص المسيح قد تمّ حرفياً بمجيئه في
وقته المعين بواسطتها فإن مصير فكرة المسيّا الجديد هو
الفشل المحتّم وقصتها تكون مزيفة ...

النبؤات الحسابية :

يورد الأنبياء في أحاديثهم عن موضوع اليوم الآخر ووقت المنتهى وزمن النهاية ويوم الدين جملة آيات مبنية على وقائع تاريخية يمرّ عليها أعداد معينة من السنين . حاول المفسرون مراراً حلّ رموزها فلم يتوفّقوا . بعضهم عيّن الأوقات المقصودة ، فجاه الوقت ولم يقع شيء مما قيل ، والبعض الآخر حاول وضع تفسيرات تخرج بها عن موضوعها الأساسي - موضوع تعيين السنة أو الزمن المقصود . لكن ذلك لا يجوز أن يثنينا عن محاولة التفسير مرّات جديدة ، لأننا إذا لم نفعل نكون قد أنكرنا مفهوم الآيات وقدسية الوحي .

حاول المؤلف بعد دراسة عميقة للموضوع استغرقت عشرات السنين التوصل إلى تفسير يجمع مرامي نبؤات المستقبل البعيد بقدر المستطاع في اتجاه واحد يجعلها تنصبّ على نقطة واحدة وزمن واحد - باعتبار أنها على رغم تباعد قواعد انطلاقها عن بعضها تتحدّ في الدلالة على أمر واحد هو وقت المنتهى ... فتوصل إلى أنها تشير إلى تاريخ واحد يقع في نحو السنة ١٩٧٥ كحدّ

لنهاية نظام العالم الحاضر . وبداية عالم جديد . « صدر الكتاب الأول سنة ١٩٤١ في مكتبة المكشوف في بيروت والكتاب الثاني - اليهودية العالمية - عن دار الثقافة ١٩٥٤ بيروت » . أما نقاط البحث فيمكن تلخيصها على الوجه الآتي :

١ - السبعة أزمنة :

أنبا موسى اليهود أنهم في حال ارتدادهم عن وصايا الله وخروجهم على تعاليمه للمرة الأخيرة ينبذهم الله من أمامه إلى الأبد وينذرهم بين الأمم ويكونون مشتتين حتى تسبت الأرض - تبلغ الدرجة السابعة - أي تدرك التمام (النهاية) مدة سبعة أزمنة .. عبر دانيال النبي في كتابه النبوي عن مدة ثلاثة أزمنة مساوية لـ ٢٥٨٠ سنة ... « للمراجعة - لاويين ٢٥ : ٢ و ٢٦ : ٣٤ » - « دانيال ١٢ : ٧ - ١١ » -

حاصر نبوخذنصر ملك بابل أورشليم للمرة الأولى في نحو السنة ٦٠٥ ق.م. وبعد مدة قصيرة استسلمت وصارت محمية بابلية يملك عليها صديقاً الذي ما لبث

حتى عاد وتمرد على ملك بابل . فرجع ملك بابل وحاصرها من جديد واحتلها وسبى سكانها إلى بابل وهدم الهيكل والسور وقصور المدينة ولم يترك فيها إلا عدداً قليلاً من الفلاحين وفقراء الشعب . من ذلك الحين لم يقيم لليهود كيان سياسي في المدينة المقدسة . رجع قسم من المسبيين بعد نحو سبعين سنة بمساعدة ملوك فارس ، لكن الأثرية بقيت مشتتة في أطراف مملكة مادي وفارس . والذين عادوا إلى اورشليم نجحوا في إعادة بناء الهيكل والمدينة ، ولكنهم ظلوا خاضعين لسلطة الفرس واليونان والرومان حتى مجيء المسيح .

فالسبعة أزمنة التي ذكرها موسى على تشتت بني إسرائيل وفقدهم الكيان السياسي ينبغي أن تبتدىء منذ السنة ٦٠٥ ق. م. منذ الغزو البابلي - فإذا طرحنا الـ ٦٠٥ من ٢٥٨٠ (وهي مدة السبعة أزمنة) نصل إلى السنة ١٩٧٥ م.

٢ - تدنيس المكان المقدس - المذبح :

في سفر دانيال من أنبياء التوراة نبوءة عن غارة

يوناني يبلغ من قسوته على الهيكل ومقدساته أنه يهدم مقوماتها ويضع مكانها أصناماً وثنية من آلهة اليونان ويجعل جنده على المحرقة الدائمة وي طرح الحق على الأرض. سأل دانيال الملك الذي كان يريه كيفية وقوع الحوادث إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة والمعصية . فقال له الملك : إلى الفين وثلاثمئة يوم (أيام سنين) ، فتراى القدس . ثم أضاف قائلاً : إفهم يا ابن آدم أن الرؤيا لوقت المنتهى ... أن الطاغية اليوناني الذي قام بتطبيق فصول النبوءة المذكورة كان أحد خلفاء الاسكندر المكدوني المعروف بـ « سوتير » ، وكان ذلك في السنة ٣٢٥ ق. م .

في طرح سني ما قبل الميلاد من ٢٣٠٠ سنة تكون سنة ١٩٧٥ هي التاريخ المشار إليه في النبوءة . « للمراجعة دانيال ٨ : ١٣ - ١٨ وقاموس التوراة - سوتير » .

٣ - مسجد عمر - المسجد الأقصى :

لما أكمل الملك سليمان بناء بيت الرب « الهيكل » ، تراعى له ملاك الرب في حلم وقال له : قدّست هذا

البيت الذي بنيته لأجل اسمي وتكون عيناى وقلبي
هناك كل الأيام ... ولكن إن كنتم تنقلبون أنتم أو
أبنائكم من ورائي ولا تحفظون وصاياى وفرائضى التي
جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى
وتسجدون لها - فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي
أعطيتهم إياها والبيت الذي قدّسته لاسمي « الهيكل »
أنفيه من أمامي ، ويكون شعب إسرائيل مثلاً وهزأة
في جميع الشعوب ... » للمراجعة - سفر الملوك الأول
« ١ : ٧ - ٩ » .

ويضيف الملاك في العدد « ٨ - ٩ » العبارة الآتية :
« وهذا البيت يكون عالياً ... » في بعض الترجمات
يكون عبرة « - كل من ينظر إليه يتعجب ويصفر
ويقول لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ ..
فيقولون له من أجل أنهم تركوا إلههم ... » .

فالبيت المشار إليه في العدد « ٨ » من الاصحاح
التاسع في سفر الملوك الأول من التوراة قرب مسجد عمر
ابن الخطاب أو المسجد الأقصى . كان المسلمون قد احتلوا

اورشليم سنة ٦٣٧ م. وفي السنوات التالية باسروا البناء على
اساسات هيكل سليمان بالذات . ويقول المؤرخون ان
البطريك سفرينوس هو الذي ساعد الخليفة على اختيار
مكان الهيكل* لبناء المسجد ... في الاصحاح الأخير من
سفر دانيال نبوءة تشير إلى أنه من وقت قيام البيت
« العبرة » في المكان المقدس « مكان الهيكل » لوقت
المنتهى تم ١٣٣٥ سنة « أيام سنين » ... فإذا اعتبرنا سنة
٦٤٠ م. سنة البدء ببناء المسجد تكون سنة « ١٩٧٥ »
سنة الحد الأقصى ...

٤ - ألف سنة سلام :

لا بدّ للعالم من أن يعيش عهد السلام الحقيقي
الموعود به منذ البداية - فمن يعن النظر في كتب الانبياء
وأقوال الرسل عن موضوع السلام يأخذ العجب ،
فإنهم يتغنّون بأحاديث السلام ويرددون أسماء السلام
ونعوته ، ويمر الجيل تلو الجيل ، ولا تسمع غير أصداء
الحروب ، ولا تقرأ غير قصص المعارك والقتال .
معاهدات سلام ، واتفاقات سلام ، ومدن السلام ، وأنباء

* مجرد ادعاء توراتي :

السلام ، وأبراج السلام ، وجبال السلام ، وشارات السلام ،
ورموز السلام . ولا نرى في النتيجة ، إلا الحروب ،
وأخبار الحيوانات ، والغدر والتآمر ... والإنجيل في آخر
أسفاره يعد العالم بألف سنة سلام ، يملك فيها الحق . وفي
مكان آخر يذكر القديس بطرس جواباً على سؤال يتعلق
بيوم الدين ، ويوم القيامة ويوم الله القادر على كل شيء ،
أن اليوم عند الله يساوي ألف سنة .. « رؤيا ٢٠ - ٤ » .
على أن مدة عهد السلام هذا ما زالت موضع نقاش ،
وكبار اللاهوتيين يختلفون في تحديدها . بعضهم يقول
انها مدة ألف سنة ، وأنها مدة يوم الدين يقوم فيها الناس
جيلاً بعد آخر مبتدئين من جيل آدم ، وينال كل واحد
ثوابه . يقول آخرون ان عهد السلام يبتدىء ولا ينتهي .

الأمر المتفق عليه في هذا الشأن ، أن الوضع الذي
انتهى إليه العالم الحاضر من جميع الوجوه وضع غير
قابل للاستمرار أكثر من سنة أو سنتين . وآخر أدلة
الكتب المقدسة على ذلك قول ملاك الله لسيدتنا مريم :
« ها أنت ستجبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع . هذا

يكون عظيماً وابن العلي يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ولا يكون للملكه نهاية ... » . سئل القديس بطرس عن موعد بداية هذا الملك فقال : « انتبهوا أيها الإخوة أن يوماً عند الله يساوي ألف سنة ... » .

كان الرقم « ٣ » أداة رئيسية لفتح ألغاز ورموز الكتب المقدسة في جميع الأدوار كما كان له في حياة المسيح ومراحل عمله وتعليمه وبشارته وموته وقيامته أهمية بالغة ... فثلاثة أيام « موت المسيح » ترمز إلى ثلاثة آلاف سنة تفصل بين موت داود الملك وتسلم المسيح كرسى داود ليملك إلى الأبد ... مات الملك داود في نحو السنة « ١٠٢٥ ق.م. » وبعبرور ثلاثة آلاف سنة ندرك سنة ١٩٧٥ أيضاً موعداً لبداية عالم جديد.

يعلّل الإنسان نفسه بالأمل ويعيش في عالم شرير فاسد سدّت أمامه جميع سبل الإصلاح. حكامه يتحدثون عن السلام ويستعدون للحرب . وعاظه يتكلمون عن الزهد والتقشف وخوف الله ويتسابقون على الشهرة

والنفوذ والمغانم . المثقفون والمتعلمون يحاولون استغلال
جهالة الجماهير وطيشها بالتفنن في اختراع الملاحى والأفلام
الخليلة ، ودور السينما ، والمباريات الرياضية والمصارعة ،
واتخاب ملكات الجمال ... من يبقى لقيادة الناس إلى
سواء السبيل ؟

الفهرس

صفحة	
٥	مقدمة
٧	جيل طالع أم نازل
١٠	القديم والجديد
١٢	نظرية التطور
١٤	في الرد على النظرية
١٦	ما يتطور وما لا يتطور
٢٠	الاحاد ثمة نظرية التطور
٢٢	التطور وعلم التاريخ
٢٤	محاولات مسخ التاريخ
٢٧	بين القوة والحق
٣٢	مادية الغرب اليهودية

صفحة

أقوال الأنبياء في مصير القدس

- ١٢٠ مصير القدس يحدد مصير العالم
١٢١ الأمل بمسيّا - المسيح المرتقب
١٢٣ انطفاء سراج الأمل
١٢٤ ماذا تعني الصهيونية
١٢٥ أصل الكلمة
١٢٧ ماذا تقول الكتب المقدسة
١٢٨ الطوارئ السياسية
١٣٠ حركة الارتداد
١٣٢ النبؤات الحسابية
١٣٢ السبعة أزمته
١٣٣ تدنيس المكان المقدس
١٣٤ مسجد عمر - الأقصى
١٣٦ ألف سنة سلام



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Alexandria

